

الايمان بالانسان

✱

وضئ

لنا أهداف التطور ووجهته ، وهو المتواصل - في امتداد أصيل وتفرع حلزوني مشدود وشمل كلي عميق - في المادة التي تبثرت إثر تجزئتها الذرية لتضحي بمجموعة طاقات لا أكثر، من هذه المادة التي تظهر وكأنها تنبض بالحياة* . الى الكائن الحي ومنه كائننا البشري الذي تعقدت فيه هذه الطاقات على ذاتها وتحولت وترقت الى مصاف الوعي والحرية المتزايدين والمتشعنين في العلم وفي الحضارة وفي قيم الحق والسبعية والجمال؛ المادة انما تلو وتشف وتشتع من خلال الفيض النسيمة حتى تبلغ صنو الفكر وقيس الروحانية ، أو كأن الحماية والروح تتلبذ وتمشي وتظلم وتنبعد تدريجياً فتدرك حركة المادة ، وفي هذا الاختبار الصيبي تتلاقى تأملات بوانكاره واينشتين مع حس الصوفي المتعقب من الميكل الحرام ببضيرة الضمير وباعتاق الروح .

من خلال وحدة الوجود هذه التي توشك ان تصبح عما قريب حقيقة عالية وضعية تنفتح كالسكة المطلة وتفرج أمامنا طريق الخلاص كأنها شطحة من شطحات ويزورك والبسمامي والخلال أو وما كرسنا : هذا السبيل مصدره منا ، ومعينه فينا ومرده الينا .

كان فيسكندا يقول : يستحيل على المرء ان يؤمن بما وراء الطبيعة من قوى اذا لم يتوفر له قبل كل شيء شعوره وإيمانه بذاته .
وان ما يعوزنا في الواقع ، عزو الضمير للنور والمثلّم للحيث والمظلوم للثروت واللعنان ، هو الايمان بأنفسنا وبذاتنا : الايمان بالانسان .

ولكننا في هذا الشرق ربما اعوزنا ايضاً أكثر من غيرنا ، ان نتصب على أرجلنا وأن نمشي بدون عكاز وان نتقبل شمس الحياة . وفي هذه السبيل لنؤمن بالعنف وبالقوة المادية الفردية والجاهلية على السواء حين لا يكون محيد عنها للتصرف بالقوة المعنوية المنبثقة من ايمان الانسان بذاته .

بشيء من هذا الايمان - نبضة سطحية ، بتجسس جزئي - نبضت اوربا وتحدث أسرار الطبيعة وأقتت عليها شباكاً من منطقية الفكر حبثها بنهضة لم يعرف مثلها التاريخ المعروف .

فاذا ما انتشرت اليوم وتوضعت ، هذه العقيدة الراسخة وهذه الثقة بالانسان على أساس الاختبار العلمي الماضي المتراكم وعلى ضوء علم الانسان ، هذا العلم الجديد الذي لم يظهر ولم يتقدم في الواقع الا منذ زمن قصير ، واذا ما تحسب هذا الايمان الى ذهنية الجماهير التي تنزع بفعل التطور للتجسعات البشرية الخطيرة على ما اشرنا . ، فأية حضارة ستنبعث واي انسان جديد سينشأ في اونها . حضارة وانسان ؛ لعلها أكبر من حلم .

كمال جنبوط

* اختبارات شندرا بوز Bose الفائز على جائزة نوبل .

لألوان الآلام السلبية . فالإنسان لما يتجلبل فقط انه لعبة في ايدي
الأقدار وانه سلمي مدفوع في شهوراته بقوى تستولي عليه من نفسه
فلا يستطيع ان يلاطم بيته وينبأ ، لان الآلمة تقصل بينهما .
ومها يكن ففي فلسفة كل من شوبنهاور ونيتشه كان يرضى
به في سبل الشقاء والالم . وهذا الكائن عند احدهما هو الفرد ،
وعند الآخر هو الرجل العادي الذي يملك قوة تسمح له بتأكيد
ذاته باعتباره فرداً . ويلتصق شوبنهاور العلاج للحالة الانسانية
فيادون الفردية ، ويلتصق نيتشه فيا فوق الفردية ، في الفصل
الارادي الذي هو وحده الواقع الحقيقي . وهذا العلاج يظهر في
« الانسان الاعلى » .

فوجوده يرتكز اساسا اذا الاستبعاد المطلق لاي كائن يسبق
وجوده الافعال ، وفي هذا هدم لنظرية الموضوع . فليس الانسان
موضوعاً لافعاله ، كما ان فعله لا يزين طبيعته الشخصية ، وليس
وجوده الافعال ، اذ لا يجمع صفات يعنى بها بل يتحول ويختلف
بتحول افعاله واختلافها .

فالتى . الوحيد الجدير
بالاعتبار هو القوتاني تلعب عن
نفسها في كل فعل ، او
التأكيد الذي تشتعل عليه

هذه القوة . ومن ثم لا تقاس الافعال بتأثيرها
ربحاً كانت او خسارة ، فأخلاق تابلين
خير بكثير من نجاح اعمال رجل عادي
فالأخلاق والنجاح لا تقدمهما مباشرة قيمة الفعل ، بسبل ارادة
الغلبة ، على الا تكون هذه الغلبة تنويعاً لاسر يستودعها ، مارادة
مستريحة في الجهد ، فذلك امر مظاهر القور .

فلتجدر العجب بأنفسنا ، فالحركة العالية تسلب اللحظة
الحاضرة كل واقعية . فالعجاب ليس من كياننا الحالي ، ولما هو
ماضيت متجدد مدفون . والقيمة الحقيقية هي في ما يؤلف الحياة
اثنا . حركتها ، في ما يرفع قيمتها ، وذلك هو الفعل الارادي .
وكل تنكيس في الذات خطأ . ينبغي الا نلتفت الى الوراء
والا نقدنا معنى الحياة والفلسفة التي تعكس الذات وتقيم الماهيات
الدائفة والجواهر والمبائع مقضى عليها . لذلك نستطيع تنهم المنى
العريق لمذهب « قلب القيم » ولمذهب « الموجدة » . فليس مذهب
نيتشه الحثي رفضاً للحسد الدني ، الذي يضره الضعفاء ، للاقوياء
قط ، والا فقد هذا المذهب معناه الميتافيزيكي واقتصر على

ان فلسفة نيتشه ناشئة عن فلسفة شوبنهاور التي
تجعل من الارادة قوام العالم . ولكن بينا ينتهي
شوبنهاور الى التشاؤم زى نيتشه ينتهي الى مذهب قوة وتأكيد
للذات . فالارادة عند شوبنهاور قوة عياء . لتحرير الذات تبت في
الافراد رغبة في الحياة عياء . وعجائية للعقل . وتظهر هذه الرغبة
في الشهوة والاماني التي تتلاقى الكائنات وتثير بينها عداوة مبيدة ،
باعتبار المحافظة على النفس والنوع . وهذا خداع الارادة القائد
الى الالم . وليس هناك مخرج غير الفائز بالزهد . وفي ذلك ترفع
عن الفردية ووصول الى ادراك الواقع غير التجزي . الذي يؤلف
العالم والذي فيه يعنى الانسان .

من هنا يبدأ نيتشه ويطلق على « الارادة » اسم « ارادة
القوة » La Volonté de Puissance . والوجود عنده ليس خضوعاً
سلبياً لاجبار لا استمتاعاً بها ولا تقبلاً لها . ولما هو ارادة الوجود او
تأكيد الذات . ومن هنا الاختلاف بين الاثنين . فالارادة عند

شوبنهاور ماهية القوة ، ومادة
بحركة دافعة ، اما عند
نيتشه فهي فعل حر ، هي
ارادة حازمة ، هي فعل
خالص ، وهي شبيهة بالحركة
الحاصلة . فالحركة تحمل على متحرك
ينتقل ، كل من قبل ساكنة ، فهي رهينة
بالتحرك ، واذا ساكن المتحرك ساكن في البد.

فالحركة تنشأ من السكون ، وهذا ما يميز مفارقات « زينون »
في انكار الحركة . لذلك وجب وضع حركة بدون دافع تنفي
كل سكون ، هي الحركة الحاصلة . كذلك ما يتعلق بالفعل
الحالص من حيث تطبيقه على الفعل الارادي . فنحن نبحث وراء
كل فعل عن فاعل استعمل ارادته ، فيصعب ان نفهم الظهور
المفاجئ . لـ « كين » (Le Fiat) الذي هو قوام الحركة المعالمة .
وهكذا يواد إيجاد حركة من السكون واحداث فعل بالابتداء .
من ماهية سابقة ، الارادة احدى صفاته وتلقه بطريقة سلبية
ولكن نيتشه يتجنب هذا الحال باقتراض ارادة قاتمة وفاقلة باستمرار
فيوجد بذلك بين الفاعل والفعل الارادي ، بمعنى ان الفاعل يوجد
وينشئ . نفسه عن طريق هذا الفعل .

وهكذا يهدم نيتشه اساس مذهب شوبنهاور في التشاؤم
وينبغي وجود فرد متحرك تحركه الارادة ويخضع تحت دفعها

المظاهر الخارجية التي يرمز إليها .

تعتمد على الفعل الإرادي وإتباعه رهيبة ، وإن الإنسان خالق ما في نفسه من شريرة . ولو أنه اتبع هذا الطريق لانتفى إلى الاعتراف ببعض القيم الخلقية التي أنبكرها . وخطأ نيتشه اعتقاده أن الفعل الإرادي لا يكون قوياً إلا إذا اتجه تجاهاً تقتضيه الحياة البيولوجية . وقد كان محقاً حين قرر أن قسبة هذا العقل لا تقاس بالنتيجة التي يظفر بها صاحبه ، ولكنه لم يواصل جهده حين رغب في تكييف الإرادة باعتبارها عملاً داخلياً ، لأنه استمر يتبعها بعنصر خارجي وهو الميل الطبيعي للحياة البيولوجية . فليست الحياة هي التي يجب أن تحدّد للإرادة اتجاه مراكز تطبيقاتها ، وإنما يجب على الإرادة أن تحدّد معنى الحياة وتبين اتجاهها . فالناسك الذي يتجه عكس التيار الطبيعي للتوازيع الفيزيولوجية يوجه حياته اتجاهاً خاصاً ولكنه ليس الاتجاه المستفاد من المعنى البيولوجي المحدود للحياة ، بل الاتجاه البعيد المدى على أساس من الحياة الإنسانية أكثر سعة ، وقوة فله الإرادي يمكن أن تكون عقلية .

وموقف نيتشه يرجع إلى مبدأ تفكيره في مذهب شوبنهاور الذي يرى الإرادة التي تبدو في مختلف الكائنات قوة أساسية في الكون تشكل بآداة الحياة . والإنسان مخدوع بهذه الفريضة المصطنعة التي تدفعه إلى المحافظة على الحياة وإداعتها . ولكن نيتشه يرى أن « الإنسان الأعلى » يعرف أن يقر في نفسه إرادة الحياة فيخضع هذه الإرادة لجباية ويستجيب للحياة . ولكن الفعل الإرادي لا يمكن ممارسته إلا في سبيل إرادة الحياة . ولذلك لا ترفض إرادة الحياة ، ورفضها عند نيتشه رجل ضئيل عاجز عن مواجهة الحياة لا تآثر قوي يوجد لنفسه حياة أخرى وشخصية قوية ، فيقاوم . كما في الاتجاهات الحيوية العضوية من دفع . إلى هذا يلجأ مكر الضعفاء ، فقد صموا قوة هذه المقاومة الروحية التي ليست إلا وهماً باطلاً . فالعزلة لا تخفي تحت ستارها إلا جبناً ، ولا سيما إذا اقتصر على مواقف روحية . ولكن ينبغي ألا نخلط بينها وبين النضال الفكري الحقيقي الذي تنكشف نتائجه في الحياة كلها ، والذي يؤثر في جميع ألوان السلوك بل في أشدها اصطفاً بالادية . وعدم الاكتراث بالعالم والتسلل من مشكلات الحياة الواقعية يستحقان الثوم . والرفض في هذه المواقف رفض متروك يختلف كل الاختلاف عن الرفض الإنشائي الذي تواجهه به أحياناً مقتضيات الحياة الطبيعية .

هذه هي المبادئ الجوهرية المعبرة لمذهب نيتشه بما تشتمل

ورسالة نيتشه لا تقل عن الرسالة المسيحية التي تريد هدمها والقيام مقامها ، فالإنسان الأصلي هو القديس . والانحدار إلى الإنسانية البسيطة بأثره والعجب والانتصاف إلى النفس أي إلى الخيال الميت والتحول عن الاندفاع الحريوي ، هذا الانحدار شريرة بركة آدم . فالإنسان مجرم بمجد من موج الحياة ويسعى لوقفه بسلماً يبدأ الله إلى القسبة الرفيعة الكامنة في أفعاله الإرادية . هو هارب من الحياة بينما الإنسان الأعلى مؤمن وفي في مواجهة واجب الحياة الحتم ، يلتزم دون حساب أو تدبير ، وذلك لجرد حب الحياة ، فلا يخضع للتفاوض أو التنازول ولا يتوقع شيئاً نتيجة لأعماله ، ولا يذعن لتغير إرادة حياة كاملة . وبهذا الاختيار يصير المصدر لكل القيم . وبذلك ينبغي كل سلطة خارجية . واختياراً لا يخضع للتردد المبتذل بين الخير والشر ، بين اللذة والألم . فلا تعارض بين اللذة والألم في حالتها القصوى ولذا يتجهسان إلى شعور حيوي عنيف يستعمل كضخم للحياة ، وعدم امكان الملازمة بينهما ، لا يبدو إلا حين يظهران بالظهور المادي .

الآن يكشف هذا المذهب عن وجودية خالصة ، وذلك حين يدرج تحت اسم الحياة لونا من ألوان الطبيعة لا يختلف عن الماهيات الكلاسيكية إلا في قوة اندفاعه المطلقة . فالإيمان عند نيتشه هي الحياة البيولوجية . وهذه الفكرة البيولوجية فكرة شاملة (سينوزا) - تلازم كثرة من الكائنات . ولكن هل يجئ « الإنسان الأعلى » الذي يقبل الحياة لقيم يخلص لها إنسان أعلى آخر ؟ . إذاً ألا يكون مذهب نيتشه الخلقى عاجزاً عن تبيان مميزات الفعل الإرادي الخاصة ؟ وإذا كان ذلك كذلك أفلا تنتهي إلى مذهب خلقي عام يخضع لما وجهه « كيوركجارد » Kierkegaard من نقد للإبطال وأمثالهم ؟

وهكذا يعرف نيتشه عن الوجودية هراً من الضعف ومن مذهب شوبنهاور . فقد ظهر أن الأمراض والهيات تسمى الموجدة على الأصحاء . ومهما يكن من أمر الموجدة فإن الشيء الذي لم ينتبه إليه نيتشه هو أنه كثيراً ما تقوم في المريض إرادة قوية في طلب الحياة بحيث تقول إن الحياة التي يحتفظ بها هذا المريض ثمة هي وليدة إرادته . ويمكننا أن نغير هذه الحالة تطبيقاً لمذهب نيتشه الذي أممها مندفعاً في ميله إلى القوة الجسدية والجسم والمدم ، معتبراً الفعل الإرادي انفجار حياة بلغت من الشدة والعذب مبلغاً قصداً ، بينما كان يجدر به لو بقي أميناً للوجودية أن يتبين أن الحياة

عليه من قيمة ومن مأخذ . والآن اذا استعرضنا النظريات الهامة التي شملت فلسفة نيته استلغنا ان تربطها في يسر بالاصول الاساسية وان ندرك معناها الدقيق .

استلهمت المذاهب الفلسفية في القرن التاسع عشر يميلها الى التاريخ والى الاعتبارات المتصلة بالتطور . فالزمن عند هيجل وسيلة يتجلى الفكر بها ، وينشأ ، بفضلها نفسه في مظاهرها المتوالية . اما نيته فمن جراء تفكيره بالفعل الارادي وعلى اثر الاتجاه البيولوجي الذي اتخذته هذا التفكير ، فقد أنكر بشدة فكرة النضج المتصل للكائن الانساني خلال العصور التاريخية . يقول في « نظرات غير عصرية » : « من الجائز ان يعيش الكائن بدون ذكرى ترويضاً ، بل ان يعيش سعيداً ، والحياة دليل واضح على ذلك . ولكن يستحيل عليه اطلاقاً ان يعيش بدون نسيان . ولا وضع فكري في شكل اقرب الى السهولة اقول ان هناك حداً من الارق والتذكر والحاسة التاريخية يلحق الاذى بالكائن الحي ويزدي به الى الهلاك سواء أكن الامر متعلقاً بانسان ام بشعب ام بشقاة » .

والمسؤول عن هذا الاخطا هو الفكر . فالفكر نصيب الضعفاء ، يجعلهم ابرع من غيرهم ويسمح لهم بجنود الاقوياء . يقول في « اصيل الاصنام » : « انني بالفكر التدرج والصبر والكلمة والمقاومة والسيطرة الصعبة على الذات ، وكل ما هو عاقل وتقليد » يتضح لنا من ذلك اوجه الاتصال بين التفكير والزمن . فالتمديد والصبر والوان الترتيب لا تأتي دون مدة زمنية . ذلك لان الضيف الذي لا يشر بالثقة بنفسه يحتاج الى اتخاذ الاحتياطات والحيل والمكايد بقي بها نفسه . وتفكير الضيف هو ان الزمن سيضي القوي الذي يستعمل قواه في غير حذر ، على حين يستخدم هو الزمن لاقامة سور مقاومه به . اذا فالزمن يستخدم في تحقيق السلطات « الزمنية » وفي جمع الاموال . ويلازم بعمد الضيف في هذا الصراع . ولكنه اذا اعتزل لا يمكن تصور وجوده حتى في نظره هو . اما الانسان الاعلى ، فيرتفع عن هذه الفتن ، فليس نضال ارادته موجهاً طمعا في غنية ، وطمعا « داروين » هو في تأسيس نظريته على « الكفاح من اجل الحياة » . تقرأ في « اصيل الاصنام » يجلي لي ان قضية « الكفاح من اجل الحياة » تبدو في الوقت الحاضر مفترضة اكثر منها مثبتة . هذا الكفاح تصادفه على انه حالة استثنائية . . فالواقع ان الحياة لا تلوح في مجسوعها بظهور عز وجماعة ، وانما تلوح في مظهر ثراء وفوضى بل في مظهر اسراف وتبذير . وحيث يقع النزاع في سبيل السلطة يبنغي الاخطا بين

« ملثوس » وبين الطبيعة . وينكر نيته بالتفاضل « الانجلوسكسني » الساذج الذي يعتقد ان التطور يحتفظ عن طريق الانتقال باكثر الاجناس البشرية والافراد تسلياً للحياة . فالتطور والتاريخ ، وموضوعها السوق ، يحتفظان ما يؤلف هذه السوق ، هذا التقطيع الضخم من الضعفاء . ونظرية داروين تعتبر في الواقع تعقراً . فليس التاريخ الا مراحل الخطا ، هي اسرائيل والمسيحية والاشتراكية . يقول في « ارادة القوة » : « اشد ما يلتفتي حين انقي نظري الى مال الرجال هو انهم في ذاتهم عكس ما يراه داروين واتباعه او ما يريدون ان يروه ، حين يقولون بتغير الاقوي وغير متجات النوع ويتطور هذا النوع . وما نلسه عن طريق التجربة نقض ذلك ماأما هو اتروا . النجاح علمه لاجل الى الناجح العليا المستازة وتسلط الناجح المتوسطه بل الاقل من المتوسطه تسلطاً لا مفر منه .

وهذا الموقف اللاتاريخي توضحه هذه الفقرة من كتاب « نظرات غير عصرية » . « اللاتاريخية شبيهة بطبقة الهواء المحيطة التي فيها وحدها تتولد الحياة » ولا ريب ان الانسان ليس غريباً عن التاريخ فان له تاريخه الخاص ، ولكنه تاريخ عليه ان يصنعه هو . وفي المؤلف نفسه : « حق ان الانسان لا يصح انساناً الا بقوته على ان يستعمل الماضي ليجعل منه حياة » وعلى ان يستخرج من الماضي ما يعمل به التاريخ من جديد ، ولكن اذا اسرف الانسان في التاريخ حرم الوجود (والكائن) . ليس ما يرفضه نيته اذاً الا التاريخ الذي يدعي انتاج الانسان وانشاء القيم الانسانية . ولكنه يحتفظ بالتاريخ على انه الملكية التي تكون للاعمال اللازمة ، وبها تستمد ماضياً بأكمله تتولاه هذه الاعمال فتبته من جديد وقد تحول وزاد ثراؤه . فحياتها لا تمتد في التاريخ ولا تحط أثرها الفردي في تاريخ عام ، ولكنها توجد التاريخ بتقرير نفسها في كل لحظة عن طريق استئناف كامل خارج الزمن والقدر الذي ترضى فيه ان توافق على الماضي فانها تختاره وتكون حرة في اختيارها . حياتنا اذا ليست مرتبطة بالتاريخ على الاطلاق « فالتاريخ في خدمة الحياة بالقدر الذي يكون فيه في خدمة سلطة لا تاريخية » (نظرات غير عصرية) وهذه السلطة هي الارادة في فعلها الخاص . وكما رفض نيته واقعية جوهر سابق الوجود يكون موضوعاً لاعتنا ، كذلك رفض واقعية التاريخ فيا اذا اعتد الاساس العام لرغباتنا وحاجاتنا ونياتنا . يبنغي ان يخضع التاريخ للفعل الذي لولاه لهُوى في النسيان . ولكل تاريخه ان اراد ، ولكن يجوز ان يريده ابرادة ضعيفة ، يريده ليعتمد عليه فيضلع له مجرد انه

اوجده . والانسان ينبغي ان يريد هذا التاريخ برادة قوة ليجعل منه أداة يستخدمها سلطانه .

ونظرة « الرجمة الابدية » تبين ان التاريخ ليس تقدماً وتطوراً وسياً الى مثل اعلى علينا ادراكه . او مجرداً للوجود علينا تحقيقه . بل هو بالنسبة للانسان الاعلى مجموعة متوالية غير خاضعة للعقل والمنطق ومكونة من المفاجآت التي تسقط على العالم في الزمن القائم كأنها الصواعق وتترك أثرها فيه . وليس الاستمرار جديراً بالاعتبار ، وليس ثمة مانع للصواعق يستطيع ان يوجه السهم في اتجاه معين ديم من قبل . وعبثاً يحاول المتبصرون ان يجمعوا الاحداث التي يمثال تبصرهم في ادراكها ، فيوجدوا اتجاهها في زمن مستمر غير متقطع اذا اختلف نسقها لاختلاف طليق . وعبثاً يحاولون ان يفهموا انفسهم بان الاستحداثات مطلقة ، وانهم باستمرار نزلاء مطشون في عالم واحد اشد لهم منذ الآن نهاية الهية من اجل تحقيق رفاههم على اكل الوجود . وبأي « السادة بالعبس » فيدخلون الاضطراب على كل شيء . ويعتبر الضعفاء من مواصلة حلهم في الحياة التافهة . ونقرأ في « انساب الاخلاق » ذلك الذي جعلت منه الطبيعة سيداً ، ذلك الذي يظهر قوياً في اعماله وأفكاره ، ماذا تبهم المعاهدات ؟ لا يمكن ان تدخل مثل تلك العناصر في الحسبان ولا يمكن توقعها ، فهي تصل مثل الاعداد دون سبب ودون علة ، دون مراعاة ودون حجة ، هي لم في سرعة الحلق .

على ان القوي السيد ، الذي حين يقارن بقليل الضعفاء يختلف عنه كل الاختلاف الى حد انه لا يمكن ان يكون منه حتى موطن بفض ، هذا القوي لا يخلو الى نفسه مع ذلك في عزلة مطلقة . حتى انه وجل العزلة وأنه يقيم « حيث تهديد صرصر عاتية » (زرادشت) يجب ان تعرف كيف نغزو الى انفسنا « والانسان الاعلى » يمثل العزلة . وفي هذا شيء . من روح « بسكال » ولا سيما في الملاحظة هذه : « اتضح لي شيئاً فشيئاً ما في تكويننا وتربيتنا من نقص عام . فقد تبين ان كيفية احتمال العزلة لا يتعلمها احد ولا يبحث عنها احد » (فيبر) . والعزلة هي القفر المروع الذي تقور فيه جميع الافعال . لانه مهما استشرنا من اخصائين ومهما فصصنا من امثلة وسابقات ، فانه يأتي وقت نبقى فيه معتزلين دون ان نجد سبيلاً حتى الى مناجاة انفسنا . لذا نكون عندئذ في حالة تورع ام لنقول نعم اولاً . وأملنا بالنجاح وثقتنا بان اختيارنا سديد لا يمكن ان يحفظنا بأية فيه في هذه اللحظة الدقيقة ، لانا بذلك نقاس عليها ونقاس فيها . لينا نستطيع ان نعتمد على شيء . او

على أحد ، ففني العزلة تنكشف مواقف الفرد : « هناك مواقف تردد قاسية مريرة ، وقليل من تلك الشجاعة والقوة الخلقية ما يمسح له بواجبها ، فقد تكون راسياً من ركب سفينة وتكتشف ان ربان السفينة والوثقي يخطئان اخطأ . خطرة وانك متعلق عليها في فن الملاحة فتسائل نفسك حينئذ : لم لا تثير الركب عليها فتلقي بها في اعماق السجن ؟ الا يلزمك تفوقك بذلك ؟ ولكن ليس من حقها من ناحيتها ان يسجنك لانك تقصد ما لها من طاعة ؟ هذا رمز لمواقف اخرى ارفع شأناً واشد قسوة يرد فيها دائماً السؤال نفسه آخر الامر وهو : حين تعرض مثل تلك الحالات باذا يمنعتا تفوقنا ثقة بأنفسنا ؟ » (فيبر) . فوجه الفرد هو بين الخضوع للقوانين المقررة والخضوع لقانون التفوق . ولكن اذا شعرت بالتفوق بل اجترأت عليه تعزل غريك وتصيح خارج المركز العام ، خارج القواعد الخلقية ، « الاخلاق غريزة القطيع بادية في الفرد » (العرفان للرح) .

بقي اذاً ان نعرف كيف نخل هذه العزلة وكيف نخوض غمار امر لا في سبيل غاية او لادراك نجاح ، بل لجرد امتحان القوة . وكل من يعرف العزلة يردد ، وقليل من يعرف كيف يواجه مثل هذا الموقف . ولكن من يقنون على ذلك يجولون ما « اخطأ او المراجعة » (انساب الاخلاق) « وقوام علمهم ان ينشئوا اشكالا مدغوبين في ذلك بفطرتهم وان يتروكوا آثاراً عميقة . . تسود فيهم هذه الاثرة الوهيبة ، اثره الثنان ذي النظر الشديد القسوة » (انساب الاخلاق) ، وهم أثرون ، وأثرهم ليس مصدرها انعطافهم على انفسهم وتجهيدهم لذاتهم ، بل أثرهم قوة تفهم غيرهم من القوى الا حين يقتضي الامر هدمها . وغزتهم تفهم . منهم كانتات مطلقة وآلة لا تنزل عن منزلتها ، ولكننا نحدث في العالم لجرد حضورها التفاعل تعديلات عميقة الاثر ولا سيما في الضعفاء . فالحضور المستبكر المزدري من « الانسان الاعلى » حضوره الغائب سترع القطيع من سعاده البليدة اذ يوجد فيه ضيق السوء . نعم يا صاحبي انت ضيق الاسوء في نظر اقربائك لانهم ليسوا خليقين بك » (زرادشت) .

حينئذ يقوم « الانسان الاعلى » بدور مماثل لدور الرقابة عند « فرويد » (Freud) فيكبح في الضمير كل حركة من شأنها بسط الذات ولا سيما غريزة الحرية . « لا ينبت فيهم (الاقوياء) . ضيق السوء . ولكن لولاهم لما ظهر هذا الذات الشنيع ولما وجد ، فانه يسبب طليان طبيعتهم الفنية وعلى اثر ضربات مطاردتهم اختفت من العالم كيانات هائلة من الحرية او على الاقل اختفت عن

الاعين مضطربة ان تنقل الى حالة قوة مضطربة . غريزة الحرية هذه ، التي اصبحت في حالة مضطربة على اثر التهر والتي اضطرت الى الانكسار والارتداد والى الاتروا . في الداخل ، وهي لم يبق لها مجال تقاسر فيه الا داخل نفسها ، هذه الغريزة ، هذه الغريزة يوجد لها (ولم نلبث ان نتبين ان ذلك كانت في مبدأ ضمير السوء . بذلك يفقد الانسان وحدته الحيوية ولا يستطيع المطابقة بينه وبين نفسه .

والسادة يتابعون حريمهم على الرقيق بل يوجدون بينهم النزاع والشقاق . وضمير السوء ، شبيه بسوء النية عند « سارتر » (Sartre) الذي يزين الواقع الانساني ويتبرع بمصدر الموجبة والتبديل المطلق للقيم . وضمير السوء ليس الا الضمير المنعكس الذي به يضبط اندفاع التيار الحيوي ولعله الضمير نفسه .

ابتداء من ذلك لن يسكن الانسان آثاره ، فيقوم دائماً فاصل بينه وبينها ، وهو فاصل التفكير الذي صدرت عنه هذه الآثار فاصل الرجوع الى الوراء ، الذي يتخذ للحكم عليها والتحقق منها أي مطابقة تامة للغرض الذي فكر فيه الذهن طويلاً . فكل أثر خارجي امتداد لآثر داخلي يواصل الانسان فيها يتبين نفسه وعلى نفسه ، وهذا الآثر الداخلي هو الذي يشكل به صورته ويغذب نفسه لانه اصبح هو نفسه الموضوع الذي تقاسر عليه سلطته المرتدة التي لا تستطيع ان تنمو غوراً طليعاً في الخارج ، لتجلى الحياة الداخلية للمشكلة على مثل اعلى للظهور والتساؤل من الحياة الواقعة ، محل الحياة وهذا مثل اعلى للجن . هذا الموقف الناشئ من ارادة فاسدة عديدة الحيوية ينشئ ايضاً « قيماً » ولكنها خيالية معكوسة ليس لها طابع مطلق ولا تظهر الا في هذا الشقاق الداخلي ، في المعارض والتناقض بين الانسان ونفسه . وهذه القيم الجديدة هي مثل اعلى شاحب سلبى يرسم على ظهر القيم الحقيقية التي تطرح في الظلم وتقسى : اثر والقيح . وهي قيم احتجاجية ليست شيئاً في ذاتها ولم تكن تصير شيئاً لو لم تجد امامها الحق الذي تنجح عليه . وهذا مصدر الاضداد في الاخلاق . والانسان اذ يعجز عن اقرار الحياة ينقسم بين واقعيتها المادية التي ينبت بها مدفوعاً في ذاك بالزهد والانتحار ، وبين مثل اعلى لا يحتمله ولكنه وهم حيوي يبعينه على احتمال ما بقي من حياته التمس .

اما السادة فيعرفون كيف يتلون انفسهم من هذا المثل الاعلى الوهمي . « حين يعمل الفكر يجد حزم وأمانة يستغني إطلاقاً عن مثل اعلى . والعبارة الشائعة التي تطلق على هذا الاستثناء هي الاحلاد » (انساب الاخلاق) . فليس الاحلاد الا الحرية المطلقة التي تتوكل للانسان في عزله حتى دون ان يبقى له الغراء في مواجهة

نفسه ، لانه لا يجد في نفسه اية صورة من صور الاله حتى يطمئن لها ويروض عنها . وهذا الاحلاد هو الذي « تنفخ مرتاحين في جوده » نحن اصحاب الانكار الروحية لهذا العصر ، ثم يضيف : « ان الكارثة التي يجتثها حفظ قوري على غريزة الصدق لاكثر من التي عام بما دفع هذه الغريزة في النهاية الى ان تحوم على نفسها كذب الايمان بالاله » . (انساب الاخلاق) .

وسواء ابحث الانسان عن مثل اعلى خيالي ، ام استكشف فجة بطلان هذا المثل الاعلى وهمه ، فانه يبين عن رغبة اكيده في معرفة الحق . على اننا نشهد خلال القرون آثار هذه الرغبة وكأنها ربح تصف بكل شيء ، فتقدم العالم السخيف الالهة الثلاثة التي اوجدتها الانسان ليوم نفسه ان في كفنها السند والهدى . « مات الاله » ، بهذا يتبنأ « زرادشت » . وللرغبة في الحق ايضاً زهدا ومثلاً الاعلى في الظهور . وهي تنتهي الى عالم اجوف يصبح ميداناً للاقواء ، لان الرغبة في الحق لا تنتهي الى امر يستكشف اولى شيء . يكون موضع حب او تأمل ، او الى حل يأتي بالراحة ، او الى خيانتها الانسان الراحل ، ولما تؤدي الى المشكلة الابدائية . وشور الانسان انه لا يوجد شيء . بالإضافة الى الالهة المشكلة وهي معرفته . يستجيب للحياة ام يرفضها دون سبب ودون نصيحة ، هذا الشعور هو الذي يتجلى في نهاية الامر ، الواقع الانساني الوحيد واساس الغريزة الذي تنقله أحراراً على وجعته ، وهو لن يكون الا معنى شخصياً مقصوراً علياً . والانسان كائن يعتبر نفسه مشكلة بالقياس الى نفسه . هذه النتيجة التي تظهر فيها مجلاد . وجودية ينشئ ، من شأنها ان تذيب القزع في النفوس الضعيفة الوجهة . فلم يظهر مذهب قرأه الانسان في مثل هذا الحرمان وهذه الغزلة بحيث لا تبقى له بعد ذلك الا ارادته . ولناحلا أن هذه الارادة ليست شيئاً ولا حالا وانما تقول الى فعل ينبغي ان يجرؤ الانسان على الاقدام عليه وعلى المجازفة به . والحطوط الاساسية التي تؤلف هذا المذهب فياتصل بالوجودية قوامها ممارسة فكرة الجوهر وفكرة الحقائق الابدائية ، واستخدام حرية مطلقة تظهر عن طريق « ارادة القوة » .

وقد لا تكون وجودية ينشئ مطابقة لكل فلسفته . فقد كان يعبر دائماً عن افكاره بواسطة الامثال والاستعارات ، فلم يضع مذهباً مقررأ بل هو عدو المذهب المقرر الذي يبدو في آثار « هيجل » صاحب الرأي المناقض للوجودية . لذلك فهناك آراء لينشئ تصور مظهرأ آخر من مظاهره . ولكننا نضرب صفحاً عنها الآن ، لأن هينستنا درس البهات الدالة على فكرة وجودية عنده . محمد وهي

دعوات من الشعر

اليكم هذه العشر دعوات من الشعر بكلمة قلبي اذ كنت يوماً على
رمال نثر سنطس ، فتلفت على ايام صبايه ومرحي على
شواطيء . « يرباردي » الساعرة (بلد الشاعر)
فقال احدي الرفاق : انك لا تزال فتياً يا قروي ! وهنا
ابنأ شمس ويجر وشاطيء جيل ، قلباً شكواك وعلام أدراك !!



تضيق بي الدنيا اذا تذكرت الحلى كأي من عروى اليرازيل في حبس
ولي كل يوم للجمي الت رجعة على الت فلك في مراغنه ترسي
يسير معي لسان أني توجهت وكاني ، لو بقي الخيال عن الحسن
وقالوا هنا شمس وبجر ورملة أباللفظ يعنون الجمال ام الجنس ؟ !
فا ابدد الاصماء عن مسياتها واغرب شمس الارز عن هذه الشمس !
هبوا اعتضت عن دنيا بدنيا جديدة أاعتاض عن اهلي ؟ أاعتاض عن نفسي ؟
أاعتاض بالذكوى عن الحب واضعاً بكفي اكاليل الزهور على رمي !!
واجب منه قولهم لم تزل فتى فاذا رأوا مني وقد جهلوا امي
فتوة نفس كرهها لا اتقاؤها اذا قل سيفي فالسلام على ترسي
اعت عن الذات مرصاً على البقا فاستي الردى تخري تسلم لي كأي !!

« ما لم ينثر بعد »

إذا الشمس يا أم لاحت هفت هتاف الغريب رأى الموطنا
وقبّلت عُزتها بالبنان وطوّقت بالساعدين السنا
كذلك كنت امدّ يدي الى النار طفلاً ، أطفلاً أنا

وإذ يكفهر جبين السماء وترسل اجفانها الدمع طلاً
وتنتشر فوق الرؤوس المظلات لم أرض غير السحابة ظلاً
كذا كنت اعشق خوض الجدول طفلاً ، فهل عدت يا أم طفلاً ؟

مروث' باتراني الشاجرين فلم ألق إلا العبوس الوقورا
فقلت الى الحقل حيث الصغار تناعى الطيور وتجنّى الزهورا
فهل صار كل رفاقي كهولاً وهل أنا وحدي ظلت ضيقا

فأسمني الطير عند الصباح جواب الطبيعة لي تنشد
'بني' ولدتك طفلاً جديداً قتل للرفاق الاولى تعهد
لقد ملأ الأرض اولادكم وانتم الى الآن لم تولدوا !!

كيف السيل الى رضا حسونتي
الابكم في وقص جناحي
وتحوت ان سمع الطيور صداعي

هي دون كل الطير لي معودة لا اشتهي الا للذيذ غنائها
واذا شذوت فرقرقت صفورة في الحقل رومت الضحى بكانها

تشكو العذاب فلا ادرى لهذابا - وانا صريع غرامها - من باعش
في صدرها الواعي جراح صابئة عُرِيت بها انظار شك عابث

حسنتي رفقا بضغتك واعلمي اني وحق هوائك جبد هوائك
لا تجزعني ان كنت اضحك واجزعني ان كنت ابكي في الهوى لسوائك

هلاً صمت اذا استمكن الطير في اعشاشهن تهمني ونحيبي
أعصرت الا فيك مندبلي وهل حيرت الا في هوائك طيبي

يا من يحولني غراباً ناعياً كي لا تموت لميتي واموتا
هي لا تطيق الصبر ان فتق الوري شدي ولا انا استطيع سكوتا

الولادة الجديدة

من ديوان القروي - باب الاناهير

☆



الحسنة الفيرى

من ديوان القروي - باب « ذوايا الشباب »

☆

ساشا سميرنوف - الابن الوحيد لأمه - عيادة الطبيب لوشيكوف بصحية ظاهرة، وهو بتأبطيناً ملفوفاً بصحيفة فابتدعه الطبيب قائلاً بجرارة .

- حسناً يا عزيزي الصغير . كيف تشعر هذا اليوم ؟ وما هي اخبارك الطيبة ؟ فأخذت عينا ساشا تطرفان ، بينا وضع يده على قلبه . ثم تتم مضطرباً .

- انا والدي ترسل لك تقنياً وشكرها الجزيل .. انني الابن الوحيد لامي ، وانت انتقلت حياتي . وكلانا لانكاد ندري كيف نشكرك . فقاطعه الطبيب وهو يذوب - ان صح التعبير - سروراً . - تعال ، تعال يا صديقي الصغير ، ودعنا لا نتكلم في ذلك انني لم افعل الا ما يفعله اي شخص آخر في مكاني .

- انني الابن الوحيد لامي .. ونحن اناس فقراء ، ولنا في مركز يسمح لنا بأن ندفع لك اتعابك ... وهذا ما يجهلنا يا دكتور في حجة شديدة بالرغم من اننا ، امي وانا الذي اكون

ابنها الوحيد ، نرجو منك ان تقبل هذا الدليل على اعترافنا بالجميل . هذا الشيء الذي .. هو شيء ذو قيمة نادرة . انما قطعة فنية نادرة من البروتز القديم . فبسط الطبيب وقال .

- لماذا يا صديقي العزيز ؟ هذا غير ضروري على الاطلاق . انني لست في حاجة الى هذا قطعياً .

- اوه كلاً كلا . انني اسألك ان اودت ان تقبلها . وابتدأ بفتح الزرمة متابعاً التسلاته في تلك الفترة .

- اذا لم تقبل هذه ، فانك تسي . بذلك الينا علينا ، امي وانا . انما قطعة فنية نادرة من البروتز القديم . انما لبقية تركها لنا المرحوم والدي . وكنا نعتبها مثل ذكرى عزيزة للغاية .. ولقد اعتاد والدي ان يشتري التماثيل البروتزية القديمة ، فيبيعها الى هواة النحت القديم .. والان ، نحن نارس العمل نفسه امي وانا . وفتح ساشا الزرمة ووضعها على الطاولة .

كانت شمعاناً واثماً من البروتز القديم . كانت عملاً حقيقياً يمثل جماعة : فبلى القاعده وفتت امرأتان شباب الام حواء . وفي وضع لا املك له الجراة ولا الزواج اللازمين لوصفه . وهاتان الصورتان

كانتا تبثان بصورة قاجرة . وعلى المصوم تعطينان هذا التأثير ، وهو انهما لاضطرارهما في الحقيقة لحل الشعدان الصغير شمعانين من على قاعدتهما وتقرمان

بحركة هي .. يا قارئ العزيز ، اني لجلج حتى من التفكير في ذلك . وبعد ان فحص الطبيب الهدية . حك رأسه ، ونظف حنجرته ثم مسح انفه وفتح .

- نعم . انما في الحقيقة قطعة فنية رائعة . ولكن - كيف اقول ذلك - ليست تماماً .. انا اعني .. بالاحرى غير عادية .. ليست ابداً .. انت تعرف .. الشيطان يعرف .. - كيف ؟

- بعزول نفسه لا يقدر ان يتصور في ذهنه شيئاً اكثراً شناعة ، لو اني وضعت هذا الشيء المثير للتجليات الشيطانية على منضدتي . اخذ للندست مقولي بكامله . وصاح ساشا في نبرات غاضبة .

- كيف ذلك يا دكتور . اي مفهوم غريب عندك من الفن ! انما قطعة فنية حقيقية . انظر اليها فقط ! ان جمالها المنسجم الى درجة انك لو تأملتها ففسب لثلاث نفسك اندهالاً وطلعتك تبث من حنجرتك شهقة ! عندما تنظر لمثل هذا الحسن ، تنسى كل شيء . ارضي .. انقل اليها ففسب ! اية حياة ، اية حركة . فأجاب الطبيب . - لقد فهمت تماماً يا صديقي الصغير .

ولكنني رجل متزوج ، ولي اطفال صغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها . وهناك فناء . يأتيان الى هنا على اذولهم .

- طبعاً . لو نظرت اليها بعين رعا ع الناس ، لانكرت هذه القطعة الفنية النادرة . ولكنك بالتاكيد ، وفوق هذا كله

يا دكتور ، وعلى الاخص عندما يكون رفضك لهذه الهدية سوف يجرحنا كلانا ، امي وانا الذي اكون ولدها الوحيد .. وانت انتقلت حياتي .. وللقابل ، ونحن نقدم لك اعز ممتلكاتنا . ان اسني الوحيد هو عجزنا عن ان نقدم لك رفيق هذا الشعدان .

- شكراً يا صديقي شكراً .. اذكرني عند والدتك و... لكن بحق الله ! انك تستطيع ان ترى وحده ، ليس كذلك ؟ ان الاطفال الصغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها والسيدات يأتيان الى هنا دون انقطاع .. وعلى كل حال ، دعه هنا ! فان اية مناقشة لا تفيد معك .

واجاب ساشا بهجة ظاهرة . - لا تقل كلمة اخرى . ان الشعدان ليسكون في عمله تماماً ،

لوضعت في هذا المكان الى جانب انا . اذ انهم هذا بحق الاله ! انه شيء يوسف للغاية . لاني لم احصل على رفيق هذا الشعدان لاطيئك ايده .



لا تظهر تصويري حريمه : سربيل اوبسا



حسناً ، وداعاً يا دكتور !

وبعد رحيل ساشا التى الطبيب على الشعدان نظرة ملوية وحك رأسه وفكر في نفسه قائلاً .

— انه لجيل ، حسناً . انه لمن المؤسف ان يرمي به بعيداً .. ومع ذلك فلا اجروء على الاحتفاظ به .. ! .. والآن لمن استطاع ان اقدمه .

وبعد مداولة ملوية ، وقع على صديق له عزيز ، وهو الحامي يوكوف الذي كان مديناً له بمجدمات ثانوية . وصاح الطبيب .

— اني بصفتي صديقاً حميماً له . فلست استطاع ان اقدم له مالا .. وهكذا استطاع ان اعطيه هذه القطعة بدلا عنها . وهو بالضبط اصغر رجل لما ... ونوعاً ما له نفسية الصغور المرح ايضا .

وما كاد يفكر في ذلك ، حتى انتقل الى مرحلة العمل . فارتدى ثيابه . وحل الشعدان ثم ذهب الى منزل الحامي يوكوف .

— صباح الخير يا الحق الكبير ! قد اتيت الى هنا لاشكرك على ازماسي ايك .. انك لن تأخذ مني مالا ، وكذلك سوف

اكافئك بأن اهديك هذه القطعة الفنية .. والآن قل من نفسك ، اليس هي حلما ؟ . وما كاد الحامي يواها حتى دهش للحال الرائع ،

ثم قال وهو يضحك . — يا له من عمل فني جميل ! اني الالة يا لها من مفاهيم يشدها الفنانون في رؤوسهم ابي ورتني جذاب امين اين جئت بهذه الالفة اللطيفة ؟

الا ان حساسه ما لبثت ان خمدت . واصبح صاحباً مدعوراً ، وقد راح يقول وهو يتطلع خلسة الى الباب .

— ولكنتي لا استطاع قبورها ايا الشاب الكبير . يجب ان ترجع بها ثانية . فقال الطبيب فرحاً . — ولماذا ؟

— لانه .. لانه غالباً ما تزورني والدي ، واصحاب الاعمال يأتون الى هنا كثيراً .. والى جانب ذلك . فان خدامي انفسهم

سوف يأخذون علي هذا الامر . وصاح الطبيب وهو يحرك يديه حركات جنونية . — ايك وان تقول كلمة اخرى . ان واجبك

بكل بساطة ان تقبلها . ولكن رفضك لها لا يكون سوى نكران الجليل . مثل هذه القطعة الفنية اية حركة ، واية تعبير

.. اني اعدها اياهه كبيرة لي ، ان لم تأخذها مني !

— لم انا فقط كانت مدعوته . او معطاة بأوراق التين .. ولكن الطبيب رفض الاستماع اليه . واخذ يحرك يديه بشدة كما

من ذي قبل ، ثم خرج من المنزل راكضاً وهو يفلن انه قد غلص اخيراً من الهدية . وبعد ان خرج الطبيب . اخذ رجل الفنان

يفحص الشعدان بكل تأثر . وبعد ذلك ، فعل مثلاً فعل الطبيب ابتداءً يتبادل . ماذا يستطيع ان يفعل بها . وفكر في نفسه قائلاً . — حسناً انه شيء جميل . وحرام ان ارميه بعيداً . ومع ذلك

فانه من البار ان احتفظ به .. من الافضل ان اهديها لشخص ما . انني اعرف لمن اعطيها . سوف اقدمها في هذا المساء للشوشكين .

ان هذا الحثيث ليجب مثل هذه الاشياء . والى جانب ذلك ، فهو يجب ان يستفيد من كل شيء . وما كاد يفكر في ذلك

حتى ابتداءً يحققة . وبعد ظهر ذلك اليوم ، حل الشعدان المحزوم جيداً . الى المثل شوشكين .

وقد ظلت غرفة المثل شوشكين طوال ذلك المساء ، محاصرة من قبل الرجال الذين تسارعوا من كل جانب ليفحصوا الهدية . وغلت

الفرقة حاول ذلك الوقت تتجاوب بأصداء الضحكات المرحه التي كانت اشبه بصهيل الحيو لم منها بأني شيء آخر .

وعندما كانت تعقب إحدى المثلثات من الباب وتقول . — هل يمكن ان ادخل ؟ كان صوت شوشكين الجلب يجيها

مباشرة . — اوه كلا ، كلا يا عزيزتي . انك لا تقدرين ، لانني لم ارتد ثيابي بعدا . وبعد ان انتهى التثليل هز كتفيه وحرك يديه ثم قال .

— الآن ماذا ساي ان افعل بهذا الشيء . انني اعيش في اجناح منزل . وغالباً ما تزورني المثلثات وليست هذه بالصورة

التوتوغرافية التي استطاع ان اخبأها في احد الادراج . ويقترح عليه خادمه بقوله : — لا لا لا تبيها ؟ هناك امرأة تسمى تشارتي تاتيل

البروت القديم .. تدعى صيرتوف . من الافضل لك ان تسرع الى هناك ، وسوف يدلونك على الطريق اليها . اذ ان الجميع يعرفونها .

وبعد يومين بيتنا كان لوشيكوف جالساً في عيادته يحضر بعض الحبوب . ورأسه مستند على يديه . فتح الباب فجأة واندفع

ساشا داخل العبادة . كان يتشم بهبحة شديدة ، وصدره متقل بالفرح .. وكان يحمل بين يديه شيئاً ملفوفاً في صحيفة . وصاح متقطع الانفاس .

— يا دكتور . تصور سروري ! فكان الحظ يريد ان يفرحي . لقد نجحت لتزى في الحصول على رفيق شعدانك . ان امي سعيدة

جداً ! انني الان الوحيد لامي .. وانت انتقلت حياتي . ووضع ساشا وهو يتجف شكرياً وارباً شعداناً امام الطبيب ،

فتفتح هذا الاخير فاه . وكأنه يريد ان يقول شيئاً . ولكنه لم ينس بكلمة . ان قدرته على الكلام . كانت قد ذهبت .

دومس

سهريل ابروب

محنة المرأة العربية .. !



يزال المجتمع العربي يطوي في خلاياه ، في أعذائه ، قدراً كبيراً من مخلفات القرون البائدة ، ولا يزال مكبلاً بملققات ضيقة من المفاهيم التي أندس بحيطها ، أعني زمانها ، وكان في ميثاق التطور ، والتقدم ، أن تفتق مع تنسج جزينات محيطها وزمانها ، لينفتح أمام نجرها مسرى الحياة والبقاء ، في البيئة العربية ، في مجالات المجتمع ، وفي عتول الأفراد ، تمسح ثم ونظم تهرأت ، وقدمت نبض الحياة منذ زمان بعيد ، فواجت تستند قطرات الوجود من دوافع التقدم وحواجز التطور ، وتشد الثقافة العربية إلى الصعراء ، والمجتمع العربي لا يزال الكساح يوقع في حجيرات أقدمه ، لأن الجود لا يزال يتشد في ذرات فكره ، ولأن الرب لا يزال يقتل ألياف قلبه ..

المجتمع العربي يعاني اليوم ، في مدارج التحول ، أزمة خطيرة .. وأزمته الحاضرة ترجع ، في ابتدائها ، في جذورها ، في بواعثها الأولى ، إلى ذات كيانه ، إلى فكره ، إلى قلبه ..

فالنظم السائدة المسوخة ، التي غروردها كل أنواع الجرائم والأوبئة التي تفتك بعوامل الحيوية ، ودوافع التقدم ، وبها مبدى التطور ، هذه النظم هي التي تسد مجالات الهواء ، ومسارب النور أمام الكائنات ، فلا تنفتح فيها كروان الخلق والأبداع والنمو لتصبح جزءاً حياً في مجموع الجسم الانساني !

إن مبعث الأمراض الاجتماعية والخلقية والاقتصادية التي تلتهم الكيان العربي وتهذه وترعره وتتركه مضخة سهلة ، ليس إلا ذلك التراث السائد الذي يضع حلقات حياتنا المفاهيم والمقادير .. إن حياتنا الحاضرة مريضة .. وجرثم مرضها ينفلت من القبور الأثالة .. إن مجتمعا والضوابط التي تمسكه ، أو تخنقه ، كمثل لغة حديثة تحاول أن تحسبها وتضع سيرها لتواعد لغة مندرسة ليس في العالم من يتكلم بها أو يعرف عنها شيئاً !

ومحنة المرأة العربية ، كآية محنة نعانها ، تبعث من طبائ هذه

الآزمة الخائفة التي تصطب المجتمع العربي .. إن مركز المرأة العربية المزديما هو الوجه كريمة من وجوه الأوضخ لسياط القرون المظلمة ، انه جزء من كل جزء من متقهر كبير ، أو جود كبير ، أو انكسار كبير .. انه مثلت من سيادة مفاهيم وتقاليده شائخة زمينة ، مفاهيم وتقاليده لا تستطیع أن تعيش في عصر الطائرات والتقابل الذرية .. ولا تستطیع المرأة العربية من كوايس عبوديتها إلا متى شعر الفرد العربي بأنه قد تأخر كثيراً ، وأضاع كثيراً ، ورضخ طويلاً ، وسكت طويلاً ، وأن عليه أن يبدأ كفاحه على أسس جديدة متينة تأتلف ، في خطوطها ، مع العصر الجديد !

وهذا الشعور ، قد بدأ يتدرج في سريدها ، الفرد العربي .. وهذا هو بداية الانتماء .. الانتماء من كل الاسقام التي تأكل في كيانها ! ومتى ادرك المجتمع العربي ضرورة تغيير اساليب تفكيره وأسر حياته ، تغيراً عاماً يطبع بالاصنام الجوفاء ، إلى الحواية ، فقد بدأت الحياة ، واستيقظت بذور التقدم والنماء .. !

وواجب المرأة العربية يجب ان ينصرف في هذا الاتجاه .. أعني إلى تدرك المرأة أن تحررها مناط بخلاص المجتمع العربي ، يمشي في زوايا ذهنه من رواسب القرون المنقرضة .. !

وعلى المرأة أن تدرك أن سر كرها يتطور بتطور التفكير الاجتماعي العام ، فعليها أن تدرك ، ما أمكنها ، ومحيط عملها كأم اضطر محيطه ، لبدن جديلة ضيقة ، وبحق كل الحرفات السامة والتقاليده الجائرة أن على المرأة العربية أن تتأخر في نشاطها الاجتماعي القومي الاصلاحى مع الرجل العربي ، لأن كلا منها يحتاج إلى جهود الآخر ، ولأن هذا التأخر اثر كبيراً في نبذ التقاليده القديمة التي تمسك إلى الوداء ، ولذا الافكار الجديدة التي تدفع إلى الامام ..

وعلى الفرد العربي ان يوقن بأن المرأة ناز و نور .. هي نار جاعلة محرقة في البيئات التي يحتم انفسها الظلام ويقتل ابداعها الجليل .. وهي نور تلصع مضي . في البيئات التي مزقت عن عيونها حجب الخسكة وقصمت بصيرتها نور المعرفة .. !

المرأة هي التي تصنع جيها .. فكيفما تكون يكون الجيل .. ولا سبيل لخلق جيل جديد للامة العربية اذا أهملت المرأة واحترقت واخلفت في وجهها منافذ الحياة !

غيروا ما في نفوسكم .. وطهروا قلوبكم .. وأزِيلُوا الصدا عن أذهانكم .. إن فطمت ذلك اهدبتم إلى الطريق السوي .. ووجدتم المرأة ، في الطليعة ، تناضل معكم وتبارك الأبيال !

سوسن عبدالقادر

بغداد

السكون الفني

بتم الرس هكلى

✦

الثناء « كان قادراً على التفرد بأي شيء من الالفاظ التي يعطيها هو دلالاتها الخاصة ومع ذلك فان شكيبو حين يضطر الى التعبير عن شيء في طبيعة الانفعال او الاحساس القامض يعود الى الموسيقى لتساعده على « التعبير » . وتقتضي تجربتي الصغرة المحدودة في الانتاح للسرعي ، انه اذا احسن المؤلف اختيار موسيقاه ، فان جهوده لن تذهب سدى . فقد اخذ مؤلف المسرحية المتقبسة من روايتي المهانة Point Counter Point بعض عتبارات من الحركة البطيئة من موسيقى بيتهوفن كجزء مكمّل في الفصل الاخير من الذرأما . ولا تخصي المسرحية او الموسيقى ، ولذلك فاني في حل من القول بان تأثير القطعة الموسيقية ، حين جرفت في العرض ، كان رائعا في نظري على الاقل .

لو كان لدينا علم ووقت كافيان . . . بمركن هذه هي الاشياء التي لا يستطيع المسرح ان يعطينا ايها . فقد كان من الضروري ان نحذف من المسرحية المختصرة معظم النقط التي لفتت اذ كان المصدر منها على الاقل ان تلتفط مواضع الحشونة في الرواية . فكانت المسرحية خشنة وقاسية في جملتها وبددت القطعة الموسيقية الناعمة ، وهي تندفع فجأة في عالم الحشونة المتطرفة هذا ، بدت كأنها شيء غير طبيعي . كانت كأنها إلى هيبط قراء الدين ، عيضا وبطنتا ، وقد لاه السلام بفضوف يفوق كل مفهوم جميل مقدس . ولو كانت روايتي « سفر الاحمال » مكرنا متقبسها المسد كملبل وكون Campbell Dixon ، مؤلف مكبث ، فانه مها بلغت قوتنا ، ومها اجتهندا ، فأننا سجدانه من المستحيل ان نعد بالكلمات او التثيل المسرحي مما اظهرته تلك الدقائق الثلاث او الاربع من الزحف على التياتر لكل مستمع حساس ذلك الظهور البراق . وحين ينبغي التعبير عما لا يمكن التعبير عنه يضع شكيبو قلبه ويستدعي الموسيقى . فاذا اخفقت الموسيقى ايضا ، فعلى السكون ان ينجم . لان الشيء الباقي في كل زمان ، وفي كل مكان هو السكون .

يمكننا الا ان نجرب جميع الاشياء الاساسية ، جميع الاشياء ذات الاعمى العظيمة الروح الانسانية ، ابتداء من الاحساس الخالص ، الى الذوق الجمالي ، ومن اللذة والام الى الحب والشوة والموت . كل هذه الاشياء لا يمكننا الا تجربتها اما التعبير عنها فلا . ولنا لا يسعنا حياها السكون .

واقرب شيء يجر من هذه الامور التي لا يستطيع التعبير عنها السكون ، هي الموسيقى . « ومن الامور التي لما دلالاتها ان السكون جزء مكمّل في جميع القطع الموسيقية الجيدة . ولو وازنا بين موسيقى واجد الصاخبة الدائسة التدفق بموسيقى بيتهوفن او موزار ، لوجدنا موسيقى واجد جد قديمة في السكون . ولعل هذا من اسباب فقر معانيها بالنسبة للآخرين . فهي « تقول » قليلا ، لانها تتكلم دوما » .

ومن جهة اخرى تعبر الموسيقى عن مجموعة من اعظم تجارب الانسان دلالة واصعبها على التعبير . نهي تليد في عقل المستمع ، يوجره الشبه المبهمة فيها ، طيف هذه التجارب احيانا ، بل التجارب ذاتها احيانا اخرى يجميع قواها . ولا يتعد ذلك الا على الخفف والحلاسة ، فالطيف قائم ، اما الحقيقة فترية مشرقة . وقد تسدهي الموسيقى التجربة وطيفها ما ، فالصادفة هي التي تقرر ذلك . فان نبضات القلب لا تنحج لتانون معروف . وميزة الموسيقى الاخرى والتي يشاركها فيها جميع الفنون الاخرى الى حد ما هي قدرتها على اثاره التجارب كلمة غير ناقصة كلمة وغير ناقصة بقدار استعداد المستمع على تقبل التجارب ، « مها كانت الاصول البستدعة جزئية ، او مضطربة . ونحن مدينون لفنانين وخاصة الموسيقي ، لانه « يقول » بوضوح ما شعرنا به دائما ، ولكننا لم نستطع التعبير عنه ابدا » . وحين نصنع للموسيقى المهجة لا نشعر بطبيعة الحال بتجربة الفنان الاصلية (التي هي وراء استطاعتنا ، فالاصناف لا تنوع على الاشواك) ولنا نشعر بأحسن تجربة من نوعها تتدور على الشعور بها طليتنا - وهي في الحقيقة تجربة احسن واكمل من جميع التجارب التي شعرنا بها قبل الاستماع للموسيقى .

وقد عرف اعظم الفنانين مقدرة الموسيقى على التعبير عن الامور التي لا يمكن التعبير عنها . فالانسان الذي كتب « عليل » وقصة

الفاخرة

ترجمة: عيسى نزار

لبسانيه في الآداب

بف

الكتيب ، وتطلق دخانها الاسود في الفضاء الخفيف بدم الشمس القارية ، ويضي دجلة صناعاً مزبداً ، يلف على نفسه عند الشواطئ . في دوامات كدراء يسكن الطين ، وتطفو فوق البساتين المحتشدة على ضفته غمام متوشة ككنديف القطن الملون .
تاتنيا رياح الخريف ..

وينهض (عناد) عن مجلسه الجعري - تجت الدوحة الوردية الضمعة - ويطلق آهة متخمة كلية ، ويدخل جيرة صغيرة خربة تجثم فيها المضخة التي راقت شبابيه وكهرله ، ويتفرع من الحائط سروالاً مرقعاً وثناً يستبدل به سرواله الأزرق المتقززت المكائن ثم يغادر الحجرة ، ويحج الساقية القديمة ، يفاكض فيها الماء بين صفين من الحشائش الخضراء ، ويتجه الى كوخ الحجازة (نشية) .
ويتسحر المساء ، وتردد ألوان الشفق للتلعة اظلاماً ، وترف

فوق دجلة نسة بلودة ، فيترمش الثوب الملهل فوق صدر العامل الكهل ، وتتغلغل النسة الراصة بين عظامه البالية واوصاله المجهد ، ويمس بتشميرة ، ويذكر الشتاء ومآسي الشتاء ، وتلتسع في عينيها الخابيتين نسة مريدة ، وتدم قلبه كتابة غامضة ، ويضي في الطريق الأثير الطويل ، وفيداً متهملاً ، حتى يصل كوخ الحجازة الاملة ، ضيق الصدر ، مقطوع الانفاس ،

ثقل الحصى ، ويلع عن كسب نيران التئور تخفق بين يديها وينشغل برثيه الحربين ارج الحيز الساخن الشهي ، فيلوح البشرى في عنيه الضيقين ، ويتل شاربديه الرماديين ، ويتأمل الايدي المترامحة على الارملة ...
ثم يعدل قائمه ويصق على الارض ويدلف زهوا الى الكوخ :

- احم ، احم .. حمي ماء نشية !
- ابا طوان ، اهلا عيني ، اجلس هناك ، سأنتهي في الحال !
وينظر الى عينيها المرصطين الدامتين ، ويجلس على دكة بعيدة عن جيرة الزبان الملهوفين غير بعيد عن البساط الـث القديم الذي تفرشه امها المتقدمة العليا ، وقد تدلى من بين اصابها المروقة مغزل راقص صفيح - كلكشوق تعبت به الانواء .

- كيف حالك يا خبة ؟
- من هذا ؟ عناد .. نعم !
- وفقك الله يا عناد . - هاه ، لماذا ؟
- سهدت بيتي ، وخربت حالي . - الله يحازيك .

ويسكت عناد على مضض ، ولا تسكت الجيرة ، فيشغل عينه ويديه بتكبير السبح الملقى بجزاه ، ثم يأخذ في صنع لافقة يتودد ، وعيناها تحطبان بين أن وأل على الحجازة المنهكة في عملها المرحي الشاق .

كان ثوبها الاسود الوحيد فضفاصاً حول جسدها الزاهل الندي تفرح منه رائحة عرق نفاضة ، وقد حال لونه الى لون الرماد لكثرة ما علق به من ذرات الدقيق ، وبين لحظة واخرى تشب النسة النيران من فوهة التئور ، وينبع وهيبها وجه الاملة المخدر المتكشر وعينيها المشواين فتتهدر ادحمها وترعش اجفانها للقرعة الحمراء وعشاش سريعة متصلة ، وهي ما تنفك تنسكت التئور بجرود طويل وتودع التئور اقراص السجين بيد لونها غبار الشوك وآثار الدمن ونثار القش يوقع باليد الاخرى عينيها الدامتين ابدأ .

ويتأوه عناد ، ويرمق الجيرة بنظرة غاصبة ، ويفكر في الاجهاز عليها ، وتطرب هذه الفكرة قلبه المنووك : ولكنها ما تزال جالسة على مقربته ، تحرك لسانها بابدأ السباب ، وما تزال تساقط الالفاظ كالطمح على رأسه الاشيب يوما يزال صامتا كما كانت يحض آخر انفاس لافقة ، ثم يتدفق بها الى الارض بشدة فريدوسها بقدمه ، فتنبأ الحركة دجاجة آمنة تخطو في الكوخ ، فتضفر راكمته مروهبة ، ثمها قلبت ان تعود مسربة متوددة ، وفي عينيها نظرة تساؤل ، لصرق قطع من البقايا المبرغة بالتراب .

وتهرب بها بعيداً الى حيث تستطيع ان كسر حها آمنة ، يفتارها احاد الدقيق . ويلف عناد لافقة ثانية ، وتودر الافكار المحومة في رأسه دوراناً سريعاً ، وكسرع الاملة في توزيع الوجبة الاخيرة من الحيز على ذبائنها ، وتوهم الجيرة ان العامل الكهل قد غادر الكوخ ، فتسكت حائقة ، وتتمثل في مكانها ، وتود القلباب عن عينيها المظلمتين . ويعوي كلب في الحارج ، فتصحب به صيحة منكرة ، وتنهو بإشم السباب . ويذهب الظلام على الكوخ ، ويشله بردائه الاسود الكثيف ، ويوف سكور مفاجي . يحلفه ضواء الزبان ، وتومض في الظلام الساكن شلة اللافقة بيد العامل الكهل وتخرج الاملة اليه بعد لأي ، تسح عرقها بذيل ثوبها وتقدم له رغباً ساعداً :

- خذ عيني . هل تأخرت عليك طويلاً ؟
- آه ، لا ، ابدأ . ولكن املك ضايقتي كثيراً .
- وهل تهلك اقول هذه الحقاً ؟
- تنصح الجيرة : انا يا فاجرة ، انا الحقاً ؟

فيول الحريف

نظم عبد الملك نوري

xx



وتتفجر غضباً، ويتحرك لسانها ثانية ، فيضج الكرخ بالسباب .
ويضيّق بالأرملة وصاحبها ، فيناداه الى الطريق ، وفي الطريق
يقول عناد متحسراً : - كنت اريد ان اذهب .. ولكن ..

- تذهب ، ولم ترك بعد ..

- لعلك لا ترينني بعد هذا المساء ، يا نثسية !

- اوه ، قل غير هذا ..

- لا ادري والله ما اقول . لقد عجزت .

- عجزت ، وانت كالسبع ..

- نعم ، عجزت يا نثسية ، والسبع اذا شاب غلبته بنات
أوى . انا الآن لا احتل الحب يوماً واحداً .

- الحب ؟ يبدأ عنك ، مالك والحب . انت قتلت ،

انت سارق ! - لا والكعبة ، لم اقتل ولم اسرق . ولكن دين
علي الخود قلتي .. - اوه ، هذا يهلك وانا موجودة .

- فضلك علي كبر يا نثسية . انا لا ادري كيف اوفيك

انت ايضاً ، - آه لا تفكر بهذا ابداً . انت وانا لا فرق بيننا .

- ما لك مثيلة في الدنيا يا نثسية .. اي والله مالك مثيلة .

وتقتض الأرملة حياء ، وتقمع عينيها الدامسين ، ثم تسأله

بصوت خافت اجش : - كم يبلغ دين علي الخود ؟

- سبعة دنانير ! - انتظري ..

وتدخل الى الكوخ متلصصة وعلى الضوء البشرب من

مصابيح الشارع ، تتناول من حجر غائر في الجدار صرة منسفة

منهورة ، وتمد سعة دنانير ، ثم تعيد الصرة الى موضعها من الجدار

تتناقض فيها بضعة دراهم وبضعة خواتم فضية ، وتسمع الجوز

رنيها الخافت ، فيعين جنونها وتضطرب في مكانها باضطراب مروءة :

- اين ذاهبة بهذا الفلوس يا ابنة الكلب ؟ الى عشيقك القواد . اما

يستحي هذا المقامر الاجلف اخيستلي من حرمة أرملة ، اما يكفي ؟

وتصيح نثسية : - صه ، اخبرني . الفلوس فلوسي ، وانا

اتصرف بها كما اريد . ولا تسكت الجوز وقد تحرك لسانها للمرة

الثالثة ، فيضج الكرخ ثالثة بالوان من السباب البذيء .

وتخرج الارملة متكيفة الابتسام ، ويودعها عناد بأرق ما يستطيع

ان يعاطله من كلام ، ويثولي عنها وفي قلبه المكندود ينبوع من

السرور ، وتشمع بينين دامتين ، وتقف على الباب ، وهو يتعد

عنها رويداً رويداً يلفه الغلام .

وترجع الجوز حانقة : هل تغلطين هذا الكلب يتزوجك ؟

بذات له كل ما تملكين ، وهو يبذر حاله وماله في القهول لو كان

اصمتي ...

ساري Surrey

ايه قيثاري .. استيقظي واخبرني
آخر ما ابدت وتدين من عشاء ،
انجزي لي الآن ما فيه شرعت
فاذا ما تم ذاك التشيد وانتفضي
اصمتي بعد ذاك يا قيثاري لاني فئت .

ان لم تصغ لنا الآن غلن نسمع
الا كما ينصت الميت في القبر
فكالتعب الاصم هكذا قلب حبيبتني
لا ينسل اليه تشيد قلبي ..

وهل يجوز لنا بعد ذاك تنهد وانين ؟
كلا ، كلا ، يا قيثاري قلني قد مضيت .

اعطني لي الآن يا قيثاري آخر زفراي
فهذا آخر ما تبدلينه من جهد
لقد انتفضى ما فيه شرعت
هذا نشيدك الاخير فاذا ما انشدته
اصمتي يا قيثاري ، اصمتي لاني قد قضيت .

صبراً ترجمة : فخر الامام

يريد الاقتران بك لعل ذلك منذ ستين ، ولكنتك مجنونة حقاً .
فتصرح الارملة : لسكتي ! ويصرخ صوت يائس في اعماقها :
« لو اراد روجي ، لقدمتها له » وتنفرد في بكاء صامت شديد
وتتصدر ادسها بين الاخاويد التي احتقرتها خمس واربعون سنة
متقلة بالالام .. وتهب على وجهها الندي نسة بارده من لهاث
الحريف الشائع الجحضر ...

عبر الملك نوردي

بضداد

سبكوفيا

مصور عبقري

فلم العلم اميل شوب- كوخ فرمه: فيه صفر

نبرل

الرسم تبديلا مطرداً في سير تاريخ الفن . واذا نحن اقتصرنا على التطور الغربي منذ نهضة اثنى عشر ووجدنا ان كبار الرسامين لم يكونوا سوى مصغرين لتوجهن التشابه على الاخص . عندما كان يراد في بلاط البرتغال مثلاً او في انساو بورغونيا ، ترويج احدي الاميرات كان يطلب الى مثل جان فان ايك ان يأخذ رسمها وكان هذا الرسم يعرض على امراء اوربا الراغبين في الزواج . وفجأة سار الرسم باتجاه التصوير الخلفي واضى يطلب من المصور ان يبين نفسية مثاله خاصة : وظلت هذه الطريقة فضل الفن الاكبر حتى اكتشاف التصوير الشمسي الذي حذف من الفن توحي التشابه ، واذا ذلك اضحي يطلب من الرسم ان يكون ، في ذات الوقت ، مشابه خلقية واثراً فنياً ذاتياً بواسطة النهج والتلون والقسم التصويرية الخ . . . كان بعض المؤرخين ، كرمبرج وفرانز هالس قد مهدوا الطريق الى الانحلال . يتضح لنا التطور المصري جلياً من مجرد المقابلة بين رسم لرمضان وبين آخر لفان كوخ او لوروز - لوتريك . لقد ظل المثال عند رمبرج اهم ما في الاثر الفني ولكنه لم يبق عند الآخرين الاوسيلة لابداً تصوير جميل قليل العلاقة بنفسية المثال . يوجد في القيم التصويرية او الرمزية شي آخر سوى ما تتخله هذه القيم وهو قوة ايجابية قبل كل شي . وهذه القوة الايجابية هي التي يحاول الفن المصري ان يستفيد بها . لا شك في ان مكاله انجلو ولبانو دي فينتشي وبدا

ليلولم يجهلوا شيئاً من هذه القوة بل ربما افاد احدهم منها ، كرودين مثلاً ، افادة عظيمة ، ان لم تكن كلية . لقد حاول منذ ٣٥ سنة موديليان في هذا الرجل العبقرى ، ويسكاسو ، هذا المظنق الموهوب هذه الشاملة ان يفضا المبدأ التالي وهو انه لا يجب الاستفادة إلا من قوة انحاء العناصر التصويرية والرمزية التي يلمسها للمثال وهذا المبدأ وجه الرسم الى مثل رقص للفنان سسان - غي حيث روى حيناً شيئاً من البقرة وحيناً شيئاً من الجنون وحياناً مزيجاً من الاثنين . ان العبقرين هم راؤون ، وسبكوفيا الذي يثل ابلغ تمثيل المدسة المذكورة آنفاً بعد في مصاف الفنانين العبقرين . ان الرجل العبقرى هو راء قبل كل شي . ولكل من العبقرين رؤياه البقرة الخاصة واصدعهم دلالة على ذلك هو فان دوغين الذي يلذ له ان يحدد من تصويره لمخاطبه بلطفه على ما يحوي فنه هذا من رؤياه الحياة بتفصيلها وعتمها . على حائط حزن الحياتوحي على زوالات الدم الرمادية وفي لوحات تتجدد بلا انقطاع ينمرها ضباب هذا الحزن وهذا الدم يرسم المصور صفحات من تلك الرؤى الباردة ، الجذابة ، التي تبدو كضاهار متتدة الالوان ثابتة على صفاف نهر ما وراء الطبيعة او كتأثر اصطناعية تلعب في الهيل المدهم المحيط بنا والذي نحاول لمس بحواسنا وننغذ اليه بفكرنا ، وبصيرتنا ، يرسم دوغين على نسج اضطرارنا ومهمنا اتواعاً من الرقص واتواعاً من تجارب القديسي انطونيو

عرفه العصر الكلاسيكية اللاتينية باسم غلبسها غريباً فاجرة مذهشة
والتي لا تزالان صيغتين في ذاكرتنا منذ سنة ١٩٠٨.

نذكر هنا مكان دونجن لأن سيكوفيا يلجأ إلى طاريفته فلثما
ولكن لكي يحقق عكس ما يطمح ذلك ، هوذا رسم مري يمثل
سيكوفيا به امرأة كهلة ، شعاع ، وقد زاد المصور ، بقصدته،
في شعاعها . ان هذه الشعاع المبالغ فيها تضمن ، لا الواقعية بل
قبلاً خيالياً ليس في المثال . اذ لم تكن الحياة ، ولا الفن سوى
حلم كما هو الحال فان الشعاع هي ايضاً حلم حتى تجعلها الموهبة التي
ترسمها . ننظر مثلاً الى هذه البقرات ، المضطربة منها والواقعة ، كان
يحدث ، وهو البارح بتصور البقر والنساء الطريقات ، يقول : «ليس
هؤلاء ، ولا أولئك سوى نقط بيضاء في الحقول» ، اما

هنا فلا مراعي بل حيوانات ظاهرة بكل ما لها من
حجم وقلة طرافة وبشكل ما يوحيه الحجم والرمزية .
هنا ايضاً يوجد ما يمت الى الحلم بصفة . انها طابع
مائلة . لقد صور فان كورخ احذية في قلب الثور ، على
حضيض يطفح بالشس « احذية تخط بها النفس »
كما كان سيزان يقول . يعرض سيكوفيا امام اعصابنا
خفين على حضيض من خشب غير مصقول كحضيض
الصادق الإنسانية ونصف رداء مفوف معلق على مسار
خارج الأعمار لتصلح الافق . لا قيمة لهذه التفاحة
العاطلة الا بدقة الرسم الطبيعية وتوزيع الظلال توزيعاً
متوازياً . وزي ، في جهة ما ، بعض الالبسة النسائية
معلقة على كرسي اعرج ، وفي جهة اخرى كيسين
من ورق مخلوئين سكر أو حبوباً وموضوعين على
منضدة منضدة بنسج غليظ ، لا شك في ان هذا
يقضيه موهبة عجيبة لافراغ الجمال على مواضع كهذه
معرفة من كل وجهة ولكن اذا كان رجال جفريون
مثل فسان كورخ قد تلهوا بجل هذا التناقض
فلا يميل بنا ان نعمم مقدرتهم الحارقة .

بدان هذا التمهيد لكي نزيد الشعور بعقوبة
سيكوفيا غير المشكوك فيها ، لقد وقف على الرسم
مقدرته الخلاقة بدقة مذهشة . هوذا طرف منضدة
مستديرة ، لماعة ، بل ربما كان طرف بيانو تغطي بفضه اما
بدقة خط من ورق واما بغطاء ابيض مربع الطي .

بثوبه الأسود ، فهو يقلد الحياة ذاتها ، ويسير بنا من المصانع والمكاتب
الى الأوبرا الواقعة والى مسارح اللهايات الهلوانية ، الخ ، وهذا
نجم عصري يودليري . من الواضح ان فان دونجن هو فنان مفكر
كما يشهد له بذلك تصويره . ليست جميع تلك الحلوطة الجلية التي
ترسمها وبشته هي من وحي المثال فقط . ان اجالات فان دونجن
العاصفة وشقي انواره التي يصبا على اغراء الجسم والمحاظ والرقص
والسكون تستر في البعض من خيرة لوحاته التي تمد من أجل ما

دراسة





منشد

الحضيق ابيض وفي الطرف الاقصى حائط ابيض . الى اليسار ذيل
سجف يتدلى من كرسي ، او من دكة غير منظورة . على القسم
الامام من المنضدة ، او البيانو ، لا صيغة له يعكسه لمان الرياش
وتنتفح فيه ازهار دوار الشمس . رحمت هذه الازهار على طريقة
دوار الشمس لفان كوخ (الالف - مجموعة كوموندو) ، اعني
بنف مدش ولتابة تجيلية بالنظر الى الدقة والبلاغة . كل ما تكنه
الطبيعة المدروسة من قوة تجيلية ممكنة عرس سيكوفيا كيف يظهره
للنور وبغيد منه بواسطة الالوان والظلال والأتوار . ان الاعتراف
له بذلك ليس بالمدح القليل ، يجب ان ننظر الى سيكوفيا كصور
قبل كل شي . واذا كنا درسنا فيه الخطط الاولى ثم فان لوحات
الازهار والطابع المائتة فما ذاك الا لتسكن اكثر فاكثرا من
ابضاح مقبرة المصور .

ان سيكوفيا مصور باعظم ما تحمل الكلمة من معنى وليس
هو بالتلاعب بشكل الوجه البشري لتأثير مقصود بل الفنان الذي
يستمد من مثاله الوسائل الضرورية التي تمكنه من ابداع سلسلة
امتثلة الاولى من سفره وتلم وروى جنونية وعذوبة واختلاف . هذه
صورة اخاذة للعلم برهن بلوست . لا شك في انها صورة راء . وها

حركة « الموزك مول »



هي صورة لفتى هرالبر . ننظر اليه منكشاً على ذاته ، مستغرقاً
في حلم الغيت برجه لاندري اية عاصفة داخلية تصف به وتلقي
عليه غشاء من اليأس والاضطراب . وها هي صورة لتشرذ يرتدي
ثياب رجل انكليزي في سفر ويعرض امامنا ملامح يأس عميق
وكآبة وبالية وذهل لمعنون . وهذه صورة سيدة فتية تبسم بعذوبة
تحت قبة عظيمة من الریش وتتمسك عينيها خلف نقابها رافعة
رأسها بشهوة . غير ان هذا الوجه الطريف يبعيه فم ضخم ، ابيض
الاسنان ، قد تلاحب به الفنان عن قصد ليوحى فكرة لا ندرى
ايمتدحها شهوانية فيها . تعرض جميع هذه الصور في اطرافتي من
الاشكال والالوان والمفاجآت تزيد في الايمان . ونحسنا الى عالم
مختلف وجو غامر ، مدش ، مفر ومضل يشوبه شي . من علة ما
فوق الواقعية يترقع فيه الفنان الى التشاؤم حالما يستقر في احلامه
ولا يرى في الحياة سوى مظاهر فحش . ان الحياة قصيدة منسجمة
كالشخصية الانسانية ، فاذا سكن الانسجام يقتض التوسع فهو
يقضي الى السأم حالما ينحصر بالحلم . غير ان الفنان الحق بان يقول
مع الشاعر ، « انني ما يحول لي ان اكون » ولا يستطيع اي ناقد
ان يلومه على ترعاته الخاصة . من الواضح ان امثلة صور سيكوفيا
هي مظاهر لشعره الخاص وهو شعور يتطوي على شي . من العودة

حالة نفسية هي حالته الطبيعية الخاصة ، فهو نموذج الفنان المحصور ضمن رزياله وفي حلمه والذي يحلق الجلال تحت تأثير انجذابات متتابعة تدفعه اليها عناصر خارجية لكنه يوحدها وفقاً للحالة النفسية التي ذكرناها ، مع مراعاة أشكالها الأصلية ما أمكن الأمر . هذا هو التفسير . ان صورة العنفة ، حيث تهب ريح جنوبية ، لا يمكنها ان تكون هائلة بل ربما اثبت منها تأثير اسف وخيبة لولا حدة الحياة التي يجتثها ولولا سحر الرواة .

لقد تجردت مدرسة التصوير الاسبانية تجرداً نهائياً من ربة المضادات التي تتعارض في مزيج من الغشة والضياء . حيث استبدتها زمناً طويلاً تقليد غريكو وريورا . هذا هو بلا شك النصر الأكبر ، الثبر ، العنف الالوان الذي احرزوه غراويا والذي انتهى بسطوكل التأثير الملتزم حتى افاد منه زولا نوعاً الاقادة كلها ومن هنا اخذت ضرب الالوان السحرة تقني على الملاون في بلادناحتوي على اشد الالوان شاعرة وموسيقى . لم يجرم سيكوفيا نفسه من هذا القناء فاذا هو طلب كل الالوان من تأثيراته لم يجهم عن ان يطلب منها ايضاً قوة التلون والاحساس الحلي حتى خلق بواسطتها اجواء ولكن لم يند شيئا من تفاصيل المحيط الثانوية التي كان يبعد الى حذوها ، ان المحيط في صور سيكوفيا هو الالون ذاته الذي كان يجيد استخداها بهارة وعند فيورج التلون لا تبعاً لثلاثة بل اظهاراً للتفاصيل الاساسية . لاشك في خطر هذه الطريقة التي يشجعها المعلنون الكلاسيكيون ، غير انه عندما يسار عليها بالمهارة التي يملك سيكوفيا فاصتها يجب على الناقد ان يحميها عا سلطانهم ، ان يلزموا الصمت . لنجرأ على القول بأنه يوجد « غرائز واقعة من نفسها » تفرض ذاتها فرضاً عند ما تبلغ الى مثل هذا النجاح المدهش وذلك بالرغم من مخالفتها للقواعد المتبعة . هو ذا صميمه الفني الذي يربنا قبل كل شي ، مصوراً صاغ نفسه بنفسه كما تؤكد لنا شخصيته المتفردة . في طريقة ما فوق الرواقية يبدو فعل الفرزة هائلاً ويجب على الفنان قبل كل شي . تجنب هذا الخطر الذي هي سيكوفيا منه ذوقه السلم وتبادل فيضان الحياة التي يجتثها . ان الموقف الذي يعد الى التخلي عن كل ما هو ثانوي والى حذف ما يمكن حذفه ليس بالنظر الى الموضوع بل الى الالوان الذي يثله ، ان هذا الموقف قد وجه سيكوفيا في الطريق التي تسير من المتشاك الى البسيط والتي سار عليها امثال لوتريك وفان كوخ ودينولو وغوكن ، وهذا ما يتيح لنا التنبؤ عن فناننا انه سوف يرمي ، تبعاً ، بكل القشور ، على غرار اولئك المعلنين ، حتى يبلغ الى هذا الصفاء الشكلي والعاطفي

لا يستمد سيكوفيا اغراء آثاره الفنية من وحي امثله بل من وسائله الفنية ، فهو ، كما قلنا سابقاً ، مخطط ماهر يتلاعب بسهولة فائقة بكل ما يتبع له تسطير خطوطه على الورق ، وهو يجذف الخط الحلي ولا يهمل مفعل الخط الشاذ الذي يخلق الاحساسات الحارقة ، وهذا ما يمكنه ، عندما يهمل في صورة الخط المنق ، من خلق حياة حادة بوسائل مرنة ، نادرة ، اي بالتضليل المثلث والحفري والنتحي . لاشي ، اعين رسوخاً على اسس حفرة من هذه الصورة لغري هو غير ، التي المنة اليها سابقاً ، ولم يضع احد قطا المطبات الالمانية التي تنتج عن الاشكال المرسخة بدقة وقوة ولم يجعلها في تناول من يمكنهم ان يفهموا ويتجنبوا باحسن كما وضعا وجعلها سيكوفيا . لم يبق هنا مشابة بمصر المنى بل شخص يهلي خلقه الفنان من مثال عرض له فكشف لنا عن نفسه بصورة واقعة . لا يمكننا ان نشبه هذه الوسائل الغربية ، الفضة ، الالوان بلابلو ييكاسو مع هذا الفرق وهو ان ما يبدو عند ييكاسو مبهماً ايهاً مقصوداً ودافئاً الى الحيرة يظهر عند سيكوفيا كشي . بدنيي وطبيعي . واذا شئنا الاسترسال في المقابلة قلنا ان ييكاسو يخضع لؤيا حياة ألها هو ذاته واشكلها لذته العقلية المشبوهة ، ويخضع سيكوفيا

للرأه المارة





هرب المائدة اللدنة إلى مصر

سيكوفيا، نحن لا نجهل ذلك؛ ولكن تكهننا، حتى ولو اخطأ،
يظل اجل ثناء على مواهب الفنان الكبير الذي نحن بصدده .
يميب طريقة ما فوق الواقعية جودها ، فحلم الفنان ، اي «مناجاته
الباطنية» كما كان جيسس جويس يقول ، ليس له سوى وترواحه .
غير ان سيكوفيا ، بالنظر الى قوة وغنى الوسائل الفنية التي يملك
تأصيتها ، هو جدير بان يُعد لنا ، في تطوره ، مفاجآت باهرة .

نليه صفر

الذي يبدو قفراً في نظر العامة يتباهى في الحقيقة غنى لا يعادله غنى .
هكذا كان تطور غريكو ولكن جني . من الصوفية التي لا ينسحب
منها ، لحسن الخط ، على سيكوفيا ، وهكذا نفس كبار ملهي
الفن . ان ما يميز فنهم هو هذه البساطة القصوى في الوسائل الفعّلة
التي لم يملفوا اليها الا بعد سنين طويلة من ممارسة صناعتهم حتى
اضمت من السهل المتنوع على سواهم .

من السذاجة ان تتكهن لتطور فنان ما خصوصاً اذا كان يفتي

هداة أيضاً إلى الأستاذ نجيب محفوظ مؤلف رفاق الزبطه

صنع

يصنع فهو صانع، وصنع المصنع السيارات، وصنعت المصانع القنابل فهي صناعة وهي مصنوعة، وعم كحل يصنع البسوسة، وحسنية القرائة وزوجها جعدة يصنعان الحنجر، وكانت الست أم حميدة الخطابة تصنع العائنات، وصنع المسيح المجازات، وصنع زبطه العاهات.

وتوفي زبطه في السجن منذ أيام، ورأيت أن اتقدم إليكم إلى الجهات المختصة مطالباً بأن يصنعوا له تمثالاً ويقيموا على رأس رفاق المدق، راجياً أن يفصل حشرات المختصين كل الفصائل بين ذلك العمل الإضافي الذي أدى به إلى السجن وبأخطأ جزأها عنه كأولئك هذا العمل البطولي الذي وقف زبطه حياته عليه، والفهم الزائع لمعى العاهة الذي كان يدرسه بجدسه وعبريته، وكيف استطاع وحده أن يواجه مدينة صاحبة ضاجة وإن يلي فيها باخلاص حاجة ملحة وضرورية.

تقدّم في ليلى أحد الأيام - ومنذ ستين - على زبطه وصديقه الملقب بالدكتور بوش لاتباعها بسرقة جثث الاموات، وشاع في الرقاق أنها كتفا يرقان طقم الانسان الذهبي من جثة المرحوم عبد الحميد الطائي الذي كان بالغا الدقيق بليضة، فلما سمعت بذلك الست سنية غني، وهي جالسة كروب القهوة التي صنعتها لنفسها بنفسها، رمت بطقم استانها الذهبي الذي سبق أن

صنعه لها الدكتور بوش وقام بتركيبه لها، ثم صرخت وولدت حتى اغشى عليها. ومنذ ذلك الحين اختفى زبطه وصديقه من حياة الرقاق وانقطع كل منها عن صناعته، ومع ذلك فلم تكن

سرقة جثث الاموات هي العمل الرئيسي لزبطه، بل هو عمل اضافي اضطر اخيراً أن يقوم به إلى جانب الصناعة التي وقف عليها حياته. وقد ولد زبطه لابوين يصنعان الشحافة، وكان ذلك اول العلامات الدالة على تأهبه للصناعة التي تفرغ لها فيما بعد. وكان يحبه كحي. اي صانع عظيم - بعد انتظار وترقب وحاجة. فقد كان والداه في حاجة إلى ابن تحمله الام اثنا. فحاولا لتبديل الطيف وتبديل الاحسان وحسن الصنيع، وقد انتظرا طويلاً حتى اضطررا أن يكفيا عائلتهما، فاقبل زبطه إلى هذا العالم، حتى وفر عليه حسن الانتظام، فكان فرحة عظيمة لها، كما كان خلاصاً لكثيرين فيها بعد.

وفي التراب نشأ زبطه وفي التراب عاش، كانت امه تتركه يذبح بحجرة يوحى بين القاذورات والحشرات، ويتذوق الوحل ويحبذ مواطني الاقدام. كانت نفائات البقدونس وقشر الطماطم والمهروم السامجة في المياه الراكنة هي عالمه الجمالي المنتقع النفاير. وكان يحس في التصاقه بالطين لفة يصنع الآخرون الجرع منها والتمتر من مواجبتها. وقد هيأت له هذه القذارة فرصة الابتعاد عن الناس فابعد، متفرغاً لتأملاته ومتفكراً فيما بقي عليه من مهام، فقد كانت رائحته الكريهة تمنيه عن الناس، وكانت قذارته تجنبه فضولهم وتحديدهم فيه، لا يصانعون ولا يصانهم، وهم متفضنون بأنفسهم من أنفسهم في روائعهم الطرية ورائعهم المصطنعة، اذا فكروا بالسين فكروا في الانتصار بغير ان يجروا عليه، لا يدركون المعنى الخاص للعاهة ولا القبة المظلمة للنشوة.



ولسنا نعرف كثيراً عن حياته ايلم صباه فهذا الجزء من تاريخه غامض ومجهول اكثره لدينا ، وكل ما نعرفه مما بلغنا من اخبار انه كان يسمل في «سرك» متجول حيث تدرب على فن «الماكياج» واصبحت له فيه يد صناع ، وحيث يمكننا ان نستنتج انه لا بد ان يكون قد تعرف بذلك على جوانب كثيرة وصناعات متعددة في الحياة . وهكذا اعتدته ولادته وطوفاته وايلم صباه للصناعة التي التي على عاتقه ان يأخذ بها قياً بعد..

في هذه الاثناء كان زعماء العلم يصنعون الحقد والكراهة في القلوب ويصنعون القنابل والطائرات في المصانع ، ثم مزجوا الجميع ممّا فُصنوا منه حريقاً عالمياً كبيراً . وفي الشوارع الفخمة الهندية كانت صناعة التجميل قد انتشرت ، تصنع السنة للتحاف والنظافة للبهن وتزيل الشر وحب الشباب ، وتسهو الازداف وتكسر الانداء ، وانتشرت الصالونات تسوي الاذن المنكشة وتضفر المرمطة ، وتعدل الانف المنحني وتدقق الشفتين التليظتين ، وتيد الصبا الى « شطوانات » الطبقة « الراقية » وفي القرب كانت قد ظهرت مدارس تخرج عن المشوه ، وزمائها ينشرون الدعوة فيليبيا تلاميذ مخلوصون يهرزون في الجامد الميت قرف الاكاسية وفرغها .

ولقد حدث ذات صباح ان كثرت جميع الجرائد اخباراً عريضة تلقتها بالبرق من طغليان ولدا احدهما بالهند والاخر باستراليا ، وكان الاول بلا ذراعين ولا قدمين وتوفي بعد عتاق من ولادته ، فلما الآخر فليسه شعر ماز له ذيل قصير وقد ولد ميتاً ، فما ابل ساء ذلك اليوم حتى كان زيبه قد اشرف على زقاق الملق ، وقد اعد العدة لاصنعه ، فحل منه ادواته ومهاتاته او اختار الحراقة القاسية امام الثون مكانا يارس منه عمله ، لا يفهم التشويه مجرد معنى جمالي في الجامد او الميت بل معنى نابض حي ، سيأتي من اجله الجوهولون والمختفون متسللين من مشارق المدينة ومقاربا ثم ينادونه وحلاً وحواريين له في مختلف الاحياء والزوايا .

وفي الطرق والميادين ، وفي الموائد والاعباد ، وقرب المساجد والكنائس ، وفي المتاهي والمقابر ، كان المتصدقون والمحسنون يطالبون سائليهم بما يؤهلهم للشفقة والاحسان ، وكثروا ينظرون شرواً — كما ينظر اصحاب الشركات ومدبرو المصانع الى طالب لا مزل له — كلما وجدوا واحداً منهم صحيح الجسم ساقى ، في عينه النور ، وفي لسانه الزلاقة ، وفي جسده الاختلاء . كانوا اشخاصاً عليلين ، لا يريدون ان يتفقا تفردهم بلا عاهات تستلزم ولا ان يعثوها على غير مستحقيا . كانوا يريدون حياً وعرجاً

وبلها . كي يمدقروا عليهم ما يمدقونه على عشيقاتهم ، فهم يتطلبون العاهة فيهم تطلبهم القلة والحاجة في عشيقاتهم .

وهكذا اخذ يند على زيبه اصدقائه الجدد وصنائه في المستقبل . انهم منكثرون الآن في كل مكان ، في الاقعة والحارات ، وفي طرقات المدينة الواسعة وميادينا ، معترفون له بالفضل والشا . وكل منهم يذكر جيداً هذه اللحظة من حياته التي اقبل فيها على زيبه ، وهو عاطل لا صناعة له ، يتقوده فيجنح الليل صديق أو دليل ، فتداعبه هذه الزائفة الرطبة التي يواجهها الزقاق ، ثم الاصوات والاضواء المنسربة من اعلى احد المنازل حيث تجتمع غرزة العلم كرشه صاحب المصهي ، وفورة القرن المتندبة كأنها شوة اومقت ، ثم الحراقة الممتعة الرهيبة كأنها كهف ساحر او جني ، والزائفة الكريهة المنبثقة من ارجاء المكان كأنها احتشاج اموات او معذنين ، وضوء المصباح البتروني المرتشع يحيل الللال الى اشباح ورموز ، والادوات الموضوعة على الرف ما بين زجاجات وآلات وضادات ، وزيبه محتشمع التفة في جلبابه الاسود القدر لا يدل عليه الا عيان تدقان ، وصوت ساخر طاع ، وفار خافتة تنبث من بقايا سيجارة ما بين يده وقه ..

كثروا يتأونه صحاحاً ، وكثرت صحتهم تقف عثرة في سبيل حياتهم كما تقف اخطال في شاب يافع ، كثروا يدون ايديهم فيجدها الناس لهم زينة ، وكثروا يطالبون بجهنم في الحياة نياها عليهم الآخرون ، فيقبلون على زيبه ثم ينادونه « عياناً وكسحاً وأحداً وقسمناً وسبتوري الأذرع او الارجل » وبذلك يهيم حتهم في الحياة ، وما يجد لهم اصطلاح صناعتهم .

وهكذا كان الليل هو الحال الذي يشرك فيه زيبه ، كان الليل هو مملكته التي يسيطر على ما فيها من حركات ومعدات وريجات ، وكان صنع العاهة يربط صاحبها به كما تربط المحبرة المريض بمتقده . فما يتصفق الليل وتكسر الهدأة فيه حتى يبدأ زيبه عمله ، فيجول في حي الحسين العامر ماراً برعيته من الكتل البشرية المتكسرة في هذه الزاوية او على ذاك الطوار كأنها بقايا هزعة في فيلتي في ميدان الحسين بكسيح الى جانب ما يشبه صندوقاً ذا عجلات اربع ، فيه كشم يسأله عن حال كساحه ، ويسوي الرجل واقفاً على قدميه ثم يطليه ملياً هو يرميته ، فاذا انطلق صوب الباب الأخضر التي بأعي ذى فراع مثورة تعود ان يبرهها للباين كأنها بقايا شمع جد ، فيوقفه ليأخذ منه الملم ، فاذا بلغ القبر القديم التي بأعي آخر قد انتثرت على صدره وفخذيه قروح

توَدَّ أن يعرضها على المارين كأنها تقيؤ دموي وهو يغط الآن في نومه هادئاً مستريحاً ، فيؤكله ويسأله عن قروحهم ، فيفتح «الاعمى» عينيه ويطلعه الملمم ، وعند الجميع الكثير يلتقي بالأحباب الذي تعود أن يسب الناس ويستهمهم إذا رده خائزين كأنهم لم يقمهم الفرق بين حذبه واستواء قاماتهم ، وفي ذلك الوقت يكون أكثر تكوراً وأكثر سواداً وأكثر هدوءاً وقد انكفأ على وجهه وعقد يديه كأنها يصلي ، فاجلس بالخطوات المقربة حتى يرفع يده بالمسلم

فيأخذ منه زيتله في صحت ويضيء ، ثم يدور حول المسجد ماراً بصنائه واحداً بعد الآخر ، ثم يتنازع رغيفاً وتبناً وجبناً او حلالة ثم يعود الى خرابته حيث يستأنف دوراً آخر من ادوار عمله .

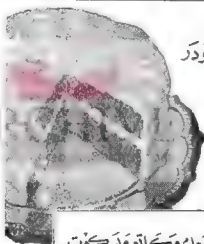
وكان شأنه - شأن كل صانع عظيم يرضي حاجة خاصة في الوقت الذي يرضي فيه حاجة عامة . فهو يتعيش ويصنع للغير سبل العيش . فلما تزعم انه اختار هذا النوع من الصناعة اشفاقاً على الانسانية وبرا بها ، بل لقد كان يرضي باختياره ذاك

حاجة دفينه الى القسوة في مجتمع قسا عليه حتى لتندوق القربا او كان يرضي كذلك حاجة في الآخرين فيبدونها مما تضطرم به نفسه من رغبة . كان للرجل مذاباته ووجدته ووحشته ، فكان منظر الدم يلاء فرحاً مجنوناً ، وكان سماه تألوهات الرجل الذي يهرس له ذراعاه او يتقر له رجله يثير فيه لذة حيوانية هائلة ، ولكن فلنذكره دائماً - بأعراق واجلال بالنسب - انه ما كان يضع لذته فوق المصلحة العامة .

قد حدث في احد الايام ان دخل منزله بعد رحلته الليلية ، فوجد عملاقاً قوياً بانتظاره ، وصفه زيتله انه « بقل بلا زيادة ولا نقصان » وكان الرجل يقول في خور « حظي اسود وعقلي وسخ » وادرك زيتله ان صفة هذا « البقل » مثار للحنن وعبة كأداء . في سبيل حياته ، ولكنه صكظم شوقه الى تهنئ رأسه وتقطيع لحمه ، واكتفى بان يلمسه فن الت - وان لم ينقصه منه شيء . كما قال صانع العاهات - ويحفظه بعض مدائح الرسول . كما ادرك ذات مرة - وهو يصق على الارض ويمسح شفتيه بكم جليابه الاسود امام متسول مهيب الطلعة - ان العاهة قد تكون وقاراً به يستطيع الشخص ان يحصل على وجوده في المجتمع ، كما تكون الذراع المقطوعة وملاحة النفي وشهادة الطالب ونفاق السياسي وكما تكون الالقاب والذروات .

وكان لزيتله اعلامه البسيطة مثلاً لي ولكم . وكانت اعلامه تتركز حول حسنة القرائة صاحبة الخرافة التي يستأجرها منها ، والتي كانت تصنع الخبز ، وكانت سيده مكتونة ذات لحم كثير ونيسان عملاق ، بتنى زيتله لو محتاج اليه يوماً

رَوِيَّال بَاكِين بَوْدَر مَسْحُوق خَمِيرَة رَوِيَّال



أَكْلاوِيَات مِنْ كَعَك وَكَاتُو وَبَكُوْت
وغيرها من المعجنات
تَرْفُفْ نَجْمَاحَا عَلَى سِتِفَال
« رَوِيَّال بَاكِين بَوْدَر »
مَسْحُوق خَمِيرَة رَوِيَّال



9874-E

Royal Baking Powder

الوكالة العامة لبوريلابولينا :
شركة شرق المتوسط - ضان انطون بك - بيروت

بصاعته - ذلك ان الناس في حاجة دائماً اليه فلا يعلم المليل ان يفرز له شخصاً من هذه الزاوية او تلك . ومع ذلك فقد اضطر اشيراً ان يقوم بعمل اضافي ، حيث يذهب مسح صديقه للقلب بالدكتور دوش بين ليلة واخرى لانتزاع بضعة اسنان ذهبية او فضة من جثة هذا المرحوم او ذلك ، حتى يقبض عليها اشيراً ، وحوكم زيطة من اجل علم علم يكسره له جهوده ، وكان مجرد مهسة عرضية في حياته .

وكانا نحن منتشرين في الموالد والافراح او جالسين نلهو في المقاهي والصالونات ، فاذا تخرج علينا اعمى او مفانى او كسيع خالجتنا رية في استمرار سلامتنا وساورنا قلقي على اتصال طلائقنا وكنا ندفع عنا تلك الريبة وذاك القلق بلم او قرش في يد سائلنا . كان يشيع في نفوسنا ادراك عام لعنى الزمن المتقلب ، ولطائفة التي لا وجود لها ، ونحن اكسل من ان نحاول النفاذ الى مواطن اصدقائنا وشقيقاتنا وشعائنا ، وكان زيطة يدرك هذا الضعف فينا فيؤفر علينا ما يطلبه ذلك من مجهود لا قبل لنا ببذله ، فكان يفرز لنا في يد مبتورة او رجل مثالوة او مته او به آخر صورة من صور المسألة التي يمكن ان نطرد اليها والتي نجد اسبابها ونحس اصولها في اربابنا وبهيمتنا .

ومنت الذين من السنين اقبل المسيح الى العالم ، ومضى ذلك الانسان الالهي يشفي المرضى والعبي والرج فيهم بهذا حياة جديدة حتى سمى صانع المعجزات . ولما جاء القرن الشرون اقبل زيطة الى هذا العالم ، يصنع المرضى والعبي والرج ليهم بهذا حياة جديدة ، حتى لقد سمى صانع الماهات . وقد يحدث ان يأتي اليوم الذي تنكر فيه صوره في المابد والمخادع ، وتباع قائله في الحوانيت والموالد ، وتؤات الكتب عن اعماله وحياته ، ولهذا تدركون تواضع ما نطالب به من صنع تتال صغير يقام له الآن على رأس زقاق المندق . كما تدركون اهمية ذلك الطلب تبيجاً لما قام به واعتقافاً بفضل على كل من صنع له صناعة ، وتبيزاً له من نكره ممن يشيعون التفرير المحطم والتشويه الذي لا طائل وراءه فتصنع لهم قائله عالية ومراقفة .

كما انصح كذلك بالاهتمام بأمر خرابته التي امضى فيها حياته لعلها تصبح ذات يوم اثرأ تقصده الوفود من كل اقطار الارض . فلقد كان زيطة صانعاً ، وكانت له صمعة ، وصنفته منتكرون اليوم في كل مكان ، فلا اقل من ان نرد اليه بعض صنيعه .

يوسف الشاروني

الناشرة

كما يحتاج اليه الصككيون . ولقد راودها عن نفسها اكثر من مرة - ورأسه تردحم بأخيلة محبومة - فما كان يلقى منها الا القسوة الزجر . ولم تكن حسنية في حاجة الى صانع الماهات يشوه عليها حياتها الزوجية ، لانه كان لها في هذه الحياة ما يغنيها عن موتته . نهي ما تنفك تضرب زوجها جسده كلما حرق رغيفاً او سرقى آخر ، وهو يستلذ قسوتها وهي تستلذ بكاءه وصراخه ، فلا يلبث ان يعترها معاً في عاقلة قوية مشبوبة - وشيئاً فشيئاً - نحو لحظة من لحظات صفائها الخالص . فلا عجب ان استغنيا عن زيطة كسا استغنى عنه بقية سكان الزقاق ، لانها استطاعت ان يصنع بانفسها ما يربط حياتها معاً ، وما يضمن لها اللذة والاستمرار . فما لبث ان قنع صانع الماهات بان يراقبها من خلال مزبلة ، وهما مستتران في شجارهما المنتهي الى صفاء يجرهم مسترسل في الاحلام والعذابات . ومن قبل كانت صناعة الملاحن البخيرة قد نافست طراحين الهواء ، وكانت صناعة المذيع قد نافست الشاعر الذي يروي اخبار الزناقي والهلالي ، وكانت صناعة القتال قد اخذت تنافس زيطة في صناعته ، فقد كان انتاجه مفردياً وان كانت فيه ماهرة الفنان وهوايته ، وكان تصنيع الماهات على نطاق اجملة . ومع ذلك فلم يكن هذا معناه بالضبط الاستغناء الكامل عن خدمات زيطة ، لان مصر لم تصب اولاً ككثيراً بمثل تلك القارة التي شهدتها زيطة ذات يوم ، ولان حاجة مجتمعتنا الى صناعة التشويه هي حاجة ملحة وضرورية ، بعضها تشويه محطم كالذي تصفه لنا الحروب والتارات ، وبعضها تشويه خلاق كالذي كان يصنعه زيطة . فالشعاع يأتيه - على حد قوله - وهو لا يساوي ملياً ، فاذا غادره قد ساوى ثقله ذهباً . لهذا كانت لديه عقيدة راسخة لا تتزلزل - كان يقوم عليها ايمان

مجموعات الاديب

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة	ايرات	جنيات	دولارات
الاولى ١٩٩٢	٣٥	٦	١٦
الثانية ١٩٩٣	٢٥	٣	١٢
الثالثة ١٩٩٤	١٥	٢	٧
الرابعة ١٩٩٥	١٥	٢	٧
الخامسة ١٩٩٦	١٥	٢	٧
السادسة ١٩٩٧	١٥	٢	٧
السابعة ١٩٩٨	١٥	٢	٧

اعتذار

كيف "نفيض الحياه ... على شباب الكلم
وكل لفظ مشاء ... تضلل فيه القدم
بل فكرة عن إنه ... ماتت قصارت صنم
بغير دم ، بلا حياه

ارض البشر

اقول... والقول زور ... كبصقة المصدور
تشير .. جون شعور ... الى لظى معور
وما يُنج صدور ... زعافها المقرور
بل يشير ... بلا شعور

خطرت في الامسكان ... وفظتي موضع
أجس منه الزمان ... وأعرف الموقع
وعدت م الخطران ... - يا ليت لم ارجع -
علم موضع ، بغير زمان

محمود امين العالم

الاسم ... فعل جُرد ... هيوات أن يحيد
واللفظ ... ومنضُ خُذ ... يا ضيعة الزوايا
كغضه - للابد - تشابت عيأ
ولن تحيا ، على الابد .

الفاخرة

فان اكن احياه ... فانه حظي
يا هول هيجواه ... وقد بلا قحيط
فلتشهدي يا حياه ... جنازة اللفظ
يها حظي ، من الحياه

١ - في المتهى

الى الصديق الاساذ محمود الفوارى احمد

كهذي الغضه الكهري بلا وهم .. بلا معنى .
كهذي القنطه الحليى امام الاسطر الوسنى .

هنا ... في جلستي الجرداء ، ارضي حسبا .. وهنا .
كهذا اللفظ .. ذاك اللفظ ، لا صدقا ولا ميثا ..
ولكن طاقة وعناء ، تقني ها هنا فتا ..

كهذا الشخص الثاني ، كهذا الذكر الثاني ..
كهذا .. حيث - منذ ان جئت - ارض الله والناس
فلم اسلك ، ولم امسك - على عربي وافلاسي ،
امام الله والناس - سوى نفسي واحساسي ..
يظنوا في فجاج الارض اخطوه بانفاسي .

كهذا عشت - منذ اقبلت - لا معنى ولا مبني .
كهذا عشت ، بل عشتا معا ، عشتا .. اجل عشتا
معا - ابناء هذي القطة الكبرى .. مما طفتنا
بارض الله والانسان ، لا صدقا ولا ميثا ،
ولكن طاقة وعناء ، تحسب ارضهم فتا .

الى ان هالني في الارض ، من حولي وقدامي .
فراغ ساغب سامان ، يضيغ جدد اقدامي ،
ولم اعثر ، ولم ابصر ، - على سني واعوامي ،
امام الله والناس - سوى غوري وإقتامي ،
وخطوه في فجاج الارض اخطوه بأوعامي .

وكان الناس - منذ كانوا - صيدا للذي بيني ،
يروون الحق في الاشياء ، ويزا ما له معنى .
فرحت ادف مثل الناس ، لا صدقا ولا ميثا ،
ولكن كنت مثل الناس استتي الذي يقني .
ارى الاشياء اشياء ، وهذا الكون لي كوتا .

فكنتا نلب الشطرنج - بعد الصبر - في المتني
ونظر أنها الشطرنج - لا مبكى ولا ملهى -

ولكن غاية جرداء غنضي نحوها ... منها !!
فرقتها - كهذي الارض - مقها - آبت كنها ..
« سزيف » يدفع الصخرة ... هل يدفعها ؟ سلها ؟

وكان الناس من حولي ، يرون محبتي أمنا ...
أجل أمنا ... لهم ... لا لي ... لهم أمنا ، ولي ضغنا
يتقي على مساواني ، ويفرش بهجتي حزنا .
تراني لست مثل الناس - لا أحيأ ولا أفني - ،
ولكن يقفلة جرداء تفرز بينهم فنسا ؟ !

لم أفرغ الى الشطرنج بعد الصبر في المتني ...
فلم أرغب ، ولم أرهب ، ولم أتمت ، ولم أشه !!
ولكني رأيت الناس - تلك الاحين البله - ،
تجسس في حصابي كذيل الكلية الوحلى .
فرحت اسائل الايواب هل لي مهرب منها ؟

وكان الناس من حولي يرون توقني جينا ...
ويشتبهون ، يشبهون - لا معنى ولا مبني - ،
ولكن ضجة حقا ، أمي فيها الذهبا
فصفت - يرحلني بهم وقوط ملائي - ركتا
أجمع فيه ما يلون ، حتى اصنع المعنى .

قامت الناس يستبقون حول منافذ الماء ...
وبعدكون بالكلمات في فحج والحواء .
وهم كيدهم فيهم خليبا : - « يا أجبائي
الى زهرة اللورد ، فكشف سر أعدائي
وتحفظ أرضنا فينا » وضل القول اصغائي .

فقت أسابق اللطائف ، أصرخ بينهم : « هونا ،
لنا أرض ... لأجل ارض هنا ... لكن بلا معنى ،

سوى هذا الالهات الحر- لا صدقا ولا ميئا-
ولكن يقطعة جوفاء لم أجل لها وزنا .
لنا أرض مقدسة .. أجل .. لكنها .. أين ؟

رأيت الأرض- هذي الأرض- لكن ، لا قدسات ،
مادة ، وأرقاماً ، سليات ، غيبات ،
ندف بها ، فلا تخرج بخلفنا ، ولا آلي ،
بأعمار ضريوت ، وغايات غريوت ،
نقاطاً في مهب الريح تجري في المسافات .

فصاح الناس : « قال الريح للجوهر سكن كونا ،
فكان الكون .. سكن الناس » لا صدقا ولا ميئا ،
ولكن غيمة سوداء ، تحفي دوننا المعنى ،
ويضي ظلمها المسدود فيها نحر ... لا أين !!
« الى الجوهر » صاح الناس « نحو الريح ما مشيتا

خطانا في طريق الله ، ما سرنا الأرض الله ،
خطايا ، لم نزل ، حتى يزل رجسها لقيام
وهذا العمر .. هذي الأرض .. « رمز عند معناه »
ولكني أرى عمري حياة ... آه .. محض حياه .
وأشهد في دمي الانسان ، مسجرة بغير إله .

وهذي الأرض ١. أين الأرض ؟ .. لا منها ولا منها
أجسر هابر نواويه صوب الضفة الحسنى
توى ، أم غاب قضبان نغارف بينها سجن ؟
رأيت الأرض- هذي الأرض : متهانا - بلا معنى ،
سوى هذا المضي الحر ... لا صدقا ولا ميئا .

فدار الناس من حولي صفوا ، واقتدوا حلقا .
وطافت بيننا القصبات ، طافت بيننا القصبات .
وبصت مقله حمراء تشهد موكب العظمت ...
تتأمل بيننا ، يخالج حيز خارج الكلمات ...

ويدفع نحونا الأفاق ، دون حافة الحطوات .

وكان الناس من حولي ، يرون تبتلي شيئا ..
وكننت لراي في معنى .. لم شيئا ... ولي معنى ..
اعيش به واحياه ، ليغيها هنا فنا .
فكان الناس يقترون - لا صدقا ولا ميئا -
ولكن غربة بلهاء ، لم تبعدهم ركننا !!

وهم كيوم فيهم خطايا : « يا احبائي ،
احس بيته الأقدام تتسلح حرس اسرائي ،
فيا نخل الأقدام ، ها .. دون ابطا ..
لكمي نخسي .. اجل نخسي .. بلا تقل ، بلدا ،
الفت أرض امداي ، وابني مجد ابتائي »

قمت اسابق الانفاس اصرخ بينهم « هوى ،
لنا أرض مقدسة .. أجل .. لكنها .. أين ؟
احسن سرها الفياض يكسب خطوتي وزنا ،
لنا في تبتلي معنى ، وسني رايها مبني ،
وجود من دم الانسان ، لا يبلى ولا يفنى .

وكان الناس يقترون صوب عوالم التسيان .
ويندفعون ، لا أرض كسر بهم ولا ازمنان ،
فرحت أشاهد الأقدام ، تلقف ثقلها النيران .
وأحمران لي أرضاً - أجل . لكن أبأي مكان ؟
لناها : دفعة كبرى . وفيض حياتها : إنسان .

ومدت ليتفتي الجرداء . خلف الأسطر الوسي .
هنا في جلستي البلباء ، ارمي حسبا .. وهنا .
كهذا القنط ، ذاك القنط - لا صدقا ولا ميئا -
ولكن طاقة وعناء ، تنفيها هنا فنا .
وأشهد عمري الحلامي يبهده في دمي معنى ..

محمود أمين العالم

القاهرة

بين الشعر والموسيقى

هداة الى الانسين ب. وس.

بهم نهم البريه محمود

✱

وكذلك كيتس (١٧٩٥ - ١٨٢١) لم يرد في قصاده اي ذكر للموسيقى البتة .

اما الادباء الافرنسيين في القرن التاسع عشر فباستثناء روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) الذي كان يحيد الموسيقى وله بعض التطلع المسجلة لا نجد من الادباء الافرنسيين مثل فورتير من يابه بالموسيقى اما فيكتور هوغو فلم يرد في كتاباته سوى اماناب عرضي للموسيقى يتهوّن .

وان اولاً ان نختار من يمثل العقلية الالمانية والادب الالاماني في هذه الحقبة فليس هناك من يتنافس غوته في هذا الاختيار . لقد طالع غوته في كتاباته جميع المواضيع التي كانت سائدة في عصره من فلسفة وسياسة وعلم الحياة الى غير ذلك من العلوم والمعارف . وحاصف متدما ولد غوته كان للموسيقار باخ لا يزال في قيد الحياة وقبل موته بفترة وجيزة ابتداء الموسيقار شومان بتأليف اول محفوياته اما هايند وموزارت وبيتهوفن وشوبرت ووبر . فجميعهم فشاوا وترعرعوا والغوا ورائهم الموسيقية في انشاء حياته .

فاذا كان ياترى موقف هذا الالاماني العظيم حيال اعظم فن الالاني ؟ نحن نعلم بان علاقته مع بيتهوفن كانت حسنة وكان بينهما نوع من الصداقة الشخصية الا انه حينما كلنه جملة استصالح مبلغ من المال من الامير « كلر اوكت » طبع احدي رواثع للموسيقية رفض غوته تلبية رجاؤه . اما شوبرت فقد بث اليه بنسقة خلية من (ارلكونك Brkoning) فلم يابه بها غوته حتى انه لم يتبس بينت شقة .

هذا ما كان من موقف الادباء . التربين حيال الموسيقى استعرضناه بصورة سرية في اهمهم اكر الحاضرة الالوروية : انكلترا وفرنسا



التينا نظرة سرية على اهم الشعراء في الادب الانكليزي خاصة ، والادب الالوربي عامة منذ اقدم العصور ، حتى اواخر القرن التاسع عشر ، نجد ان شعرهم يكاد يخلو من اية اشارة الى موضوع الموسيقى ، واذا اسعنا الخط ومقرنا على تفهيم بهذا الخصوص فيكون ذلك بصورة مقتضبة ليست ذات اهمية . ومثل على ذلك ما ورد في القصيدة التي بدتها جون ولان (١٦٠٨ - ١٦٧٩) الى والده شديداً الى حلاقة الشعر بالموسيقى فأطلق عليها صفة القرابة .

ومن النادر ان نجد شاعر ايلم المائاً كافيًا بالموسيقى ، والشاعر الوحيد الذي كان يقضي بعض وقته لاعباً على الارغون في كنيسة « سنت يول » هو ادريان باتن . اما جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) فكان آخر شعراء هذه الحقبة الذين اظهروا بعض الاهتمام في الموسيقى ، فعناه يشي على الموسيقار « برسل » في مقدمة « امفيقيون » ونلاحظ في كتاباته الاخرى مثل « عيد الاسكندر » بعض التعريض للموسيقى ، فهو يقدرها لا شيء بل تقدرتها على اثاره الباطنة والشعر .

واذا تقدمنا شيئاً فشيئاً نحو شعراء القرن التاسع عشر بدت لنا هذه الظاهرة - ظاهرة خلو الشعر من موضوع الموسيقى - اكثر وضوحاً . فهذا ورسورث (١٧٧٠ - ١٨٥٠) شاعر الحب والجمال وهذا كزوليدج (١٧٧٢ - ١٨٣٤) كلاهما يقمان خارج نطاق قائيد الموسيقى . اما شيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢) فع انه كان يستطبع صناع الاغان العاطفية فانه لم يكتف ببايعتها . وقل مثل هذا على بايرن (١٧٨٨ - ١٨٤٦) الذي اذا جرحته من الاغنية التي كتبها الى (برانز) تكون قد قضيتا على كل ما يربطه بالموسيقى من علاقة .

ومن الغريب ان بعض الموسيقيين يتلاعبون في قطعهم ويزيدون في تعقيدها ظانين ان هذا التعقيد يكسبها نوعاً من الرقي والعظمة كأن الصبورة والتعقيد من صفات الفن الضرورية او انها من عاياته .

اما من ناحية الانسجام والتسلك الموجودين في القطار الموسيقية المنفردة والصفات المنفردة فان هذه الصفة تكون على اشدها في هذين الفنين - الشعر والموسيقى - ولن تظهر لنا اهمية هذه الصفة الا اذا قارناها مع بقية الفنون، فنلاحظ مثلاً ان في امكاننا التطلع الى احدى الألواح الزيتية ، وعلى سبيل المثال لنفرض ان هذه القطعة هي الشاء الرباني لثيان ، فبناستعنا ان ندرس تفاصيلها جزءاً جزءاً عينا ونحالا من الاعلى ومن الاسفل كما يمكننا دراسة الاشخاص فرداً فرداً والامام بالقوقش والمنحوتات والاثاث ما وسعت له مداركنا ودقة نظرانا .

اما في الشعر والموسيقى فهذه السمات غير متوفرة اذانه في بيت شعري يصدر علينا تجزئته الى كلماته مع بقاء الانسجام والمعنى فلو اخضعنا الشعر لبيت لشكسبير واشهر لجنة لماندل وحاولنا ترجيعها واحداً - فمع ان الترجيع في هذه الحالة غير ممكن فانه يجرد كلاً من البيت الشعري والبنية الموسيقية من جميع مزاياهما ومعناها .

اوجه الاختلاف

مختلف الشعر عن الموسيقى في امور عديدة منها اختلاف الوسط ، فالشعر يعبر عنه بالكلمات وثروته الفردية اما الموسيقى فيعبر عنها بالأصوات وثروتها الألحان . واهم الاختلافات الاخرى قضية دقة العرض والقدر على الوصف فالشعر يتنازع هذه الناحية على الموسيقى بقدرته على دقة الوصف ، ومن ابرز مزايا الملاحم الشعرية وخاصة تلك التي ابدعها ملث ودانتي هي على عرض الموضوع وتقريبه من اذهاننا كما هو بيئة شعرية جميلة وان هذه الميزة لا تنفي نقل الظواهر الطبيعية بقدر ما يفل الرسام في تصويره منظر طبيعي ، بل تعني بالدرجة الاولى تجسيد الافكار المثلى في تلك الظواهر . في هذه الناحية ، تاحية الدقة في عرض الموضوع بصورته الحقيقية تقف الموسيقى مكتوفة الايدي . ولو ان الموسيقى التصويرية قد بلغت شأواً بعيداً في التقدم فانها تبصر عن عرض الموضوع دون الادعاء على مساعدة الكتابة وبعض الحركات التشيلية كما هو الحال في الاوبرا .

واذا اخذنا مثلاً القطعة الموسيقية المبدأ بـ (اركونك Erlkonig) لشوبرت والتي تصور فيها عاصفة هوجاء وكذلك

والمانيا واطلعت على سعة الخلاف بين الشعر والموسيقى ، فما هو السبب يا ترى في هذا الجفاء ؟ يظهر ان السبب الذي ساعد على حصول عدم الالتئام هذا يعود الى عامل تاريخي وهو : في اوائل القرن السادس عشر واولائل القرن السابع عشر شاعت الموسيقى الثنائية وانتعش شعراء الاغاني لان الموسيقى كانت الوسيلة المثلى للاشادة بذكرهم . وعلى هذا الاساس كان هذا العمل سبباً في تحسين العلاقات بين الشعراء والموسيقين الى حد ما .

ولكن في اواسط القرن الثامن عشر اصابت الموسيقى الثنائية موجة ركود قوية اغلظت الشعراء اشد الاغاطلة واثارت حقدهم على الموسيقى مما دعا اديسون ان يتذمر ويقول : لمن الله الموسيقى فاهما حوتنا من ان نتذوق صامع كل شي . ذي معنى ؟ وما زاد في الطين بلة ان اقلية الموسيقيين اخذوا يولدون استغلالهم الذاتي وينشئون ملكتهم بعيداً عن العالم المادي وفي منزل عن الشعراء . وبالإضافة الى ذلك فان اكتشاف الموسيقيين لآفاق جديدة كالسروانت والكلاركيت والسفونيا جعلهم يستغنون عن معاونة الشعراء ، بل ان ذلك اثار شوقهم للارتقاء الى عالم خاص بهم لا ينالهم فيمعنازع . فاذا كانت الحال كذلك فلا عجب اذا ما وجدنا الشعراء ينظرون الى هذا القرن الجديد نظرة ارتياح وعدم اطمئنان .

اوجه التشابه بين الشعر والموسيقى

على الرغم من ان علاقة الشعر بالموسيقى لم تكن على ما يرام كما يتأسس بقاً فمن الممكن إيجاد عدد من اوجه التشابه بينهما . واول ما يلفت نظرنا هو ان اللون والوزن معاً يحتلان مركزاً ذا اهمية كبرى في الشعر والموسيقى لا يمكن مقارنتها من حيث الاهمية مع بقية الفنون من تصوير ونحت وعمارة ، وان يكن من المعتدل استخدام الوزن واللحن في هذه الفنون الا ان ذلك يكون بصورة زمنية فقط . ومن الجدير بالذكر انه اذا اردنا مدح قصيدة شعرية اطلقنا عليها صفة الموسيقي فنقول مثلاً : تلك قصيدة جميلة ذات انسجام موسيقي . وفي الحقيقة انه لم يكن جزافاً ما قاله بيتوفري عن نفسه بأنه شاعر ألحان . ونقطة التشابه الثانية بين الشعر والموسيقى هي ان كلاهما معرضان الى نفس الامراض ، فالباشاة المتصعدة في الشعر والموسيقى لا تقل اثرأ وضراً عن عبادة الاصنام للدين ، كما ان الفوضى المكتسبة بكساء الحرية الشخصية من اخطر الامراض التي تصيب هذين الفنين . نعم ان الحرية الشخصية هي اسمى غايات الفنان وبدونها لا يمكن وجود اي خلق او ابداع ، الا ان الحرية الشخصية لا تعني الابتعاد كلياً عن جميع قواعد الذوق السليم .

مقدمة (فالكليري Walktre) فاعرف فان الانطباع الذي نحصل عليه لا يشبه صوت العاصفة الحقيقي ، ففي هذه الحالة يكون كل من شوبرت وفاغان قد اخفقا في عرض الموضوع اذ كانت الغاية من قطعتهما هي تمثيل العاصفة في حقيقتها ، وفي الحقيقة انهما لم يقصدا تقليد الطبيعة لأن القرن لم يكن في جوهه تقليداً للطبيعة بل انه اكثر ما يكون خلقاً وابداعاً .

وبقدر تقصير الموسيقى في بلوغ الغاية في دقة الوصف فانها تتفوق على بقية الفنون من ناحية ان الابداع الموسيقي يتمدّد تحليله ووصفه الا لموسيقى نفسها . ومع هذا فان الموسيقى ضمن نطاقها ذات حقيقة لا تقل عن اي فن آخر فاسلوب بلخ لا يقل روعة عن اسلوب ملق وكذلك الانسجام والمهنية التي نجدتها في قطع بيتوفن لا تقل كلاً عن تلك الصفات الماثلة عند شكسبير . وكما قال «كولريدج» ان الموسيقى الرديئة بمثابة الاحمار الخالية من المني تماماً . ونقطة الاختلاف الأخرى بين الشعر والموسيقى هي ان اوزان الشعر محدودة وفئات نطاق معين تتحكم في الشاعر عند نظمه قصائده . اما اوزان الموسيقى فلاحداً لها والموسيقار ملء الحرية في اختيار ما يراه مناسباً من الاطان والاصوات .

ونقطة الاختلاف الأخيرة التي استطيع وضعها في باب اوجه

الاختلاف بين الشعر والموسيقى هي مسألة تنازع الاصوات وتداخل الاطان فالموسيقار في هذه الناحية مطلق الحرية في استخدام الاصوات المختلفة، تلك الاصوات التي مع محافظة كل منها على استقلالها ووحدةه فتداخلها جميعاً تكسب القطعة الموسيقية روعة وجاذبية .

ولكن في الشعر يختلف الحال قام الاختلاف فالهجة التي نحصل عليها في اشتراك عدد من المذنين في قطعة موسيقية غنائية تنقلب الى عكس ذلك حينما يقترب عدة شعراء . وينطقون معاً ومرة واحدة . وما عدا هذه الاختلافات الجبرئية فان العلاقة بينهما هي اوثق منها في اي فن من الفنون الأخرى وما الموسيقى في الحقيقة الا شعر يجر منه بالالهام عوضاً عن الكلمات .

بشراء

فهم المبره محمودي

لراجع : ام المراجع التي طالعنا في كتابه هذا الموضوع هي :

1 - Collected Essays G. W. H. Hadow Oxford University Press 1928
ويتبري هذا الكتاب على أم المصاحرات والامامات التي التبت في المجمع البريطاني وجامعتي اوكسفورد وكمبرج في موضوع الموسيقى بين عام ١٩٠٦ و ١٩٢٦ .

2 - A Short History of English Literature S. For Evans Pelican Books 1943

عاصفة

أيتها الطبيعة

أنت أمي وأبي

وما تضمن كل عام

في الأرض أم في السماء

أعزلي وأعزالي ...

لو كنت رياحاً يا هرج

لمررت على الأكواخ الصغيرة

آيات الرحمة والحنان ...

لو كنت زوجة يا دوامة

لدت حول القصور الشامخة

أسعيا ...

وأعلا رؤوسها الجرفاء الجبلية ...

لو كنت رياحاً يا نكباء

لوجت قلوب الصغور

ودلفتها ذرائر

أخاراً تنساب

في دروب الابد ...

لو كنت رياحاً يا عاصفة

لمجدت امام الايمان

هبة بجملة الانسان

في كل مكان وزمان

وعظمت أولادي

أقام للقرح تشو ...

لو كنت رياحاً يا فاذة

لدت على نفسي

أترج الادران

ثم على مواهي

يا في قلوبهم من أدران ...

لو كنت رياحاً يا مافية

لست السلام

وسكبته حاناً

على قلوب صحراوية

ضأي ...

ويل لك يا رياح

ان حطمت كروناً

ويل لك يا رياح

ان اجفلك القصور !

وكم في الأكواخ الصغيرة

من قنوس كبيرة

غمرها الايمان بالانسان

وكم في القصور الطيبة

من قنوس صغيرة

مسحها الكثر بالانسان ...

مري يا رياح هدي

رحاك في ثوبك الجديد

وطمي الانسان الكسبح

كيف يجر في دروب السلام !

فربما عاصف

المشوهون

مسرحية جديدة

يُعلم خليل عندي

✱

الأم : بربك أصادق انت فيا تقول ؟ :

الا يزال الذي اختطفته القنبلة من بين يدي حياً... يسرفي...
قل لي تمد الي الحياة ، والامل ، والدنيا ، وكل شي . اما لي اراك
سائكاً ؟ اتظن انه لا يزال تحت الانتقاض ؟ هاتوه لي على اي
حال ! ان يسكراني ان ارد اليه الحياة ...

حافظ : (يوردي وجهه)

انه حي ، اقسم لك على ذلك... اهدئي بالآ وقري صيلاً
(للبريش) اسمعوا سريرهوا الي قاعة الصليات ا

(لنادل) ارايت ان ساهبا لا بد من بقها الآن لان

الظم مهشم ...

عادل : انها ليست تسأل من حياتها... وسيتان عندها ان
تحيا بساقين او بساق واحدة.. وانما يهسا ان ترى ولدها . ان قلبها
يشعرها بان ولدها استبدت به الانتقاض . ما صاهها تصنع
لو قلنا لها ذلك ؟

حافظ : انها تصبر قليلاً ثم تسجل ...

عادل : لا يزال هناك تبع الثقافة ا

ألا انتباه فنه المساء ؟

(فجأة تدوي مفارقات الانذار)

بمرض : اسرعوا حالاً الى الطوابيق

السفلى ، الي الملاهي . ا

حافظ : وهؤلاء يتكون لمن ؟

عادل : لكن الخطر يبيب بنا ان نبعد .

حافظ : سنصل في الاعلى ، وفي

الفصل الاول

النظر الاول

يفتح الستار على مدينة مظلمة كمدينة الاموات . اوارها زرقاء .
وظلتها شاملة .

نحن في مستشفى يدل ما فيه على الاضطراب الزائد وفيه أطباء
وممرضات وامرأة منتفخة تحمل جرحى وثلاثي من اثر غارة جوية .
لا يزال القدير بعيداً ولا يزال الدوي يتواصل منتفخاً :

(سيارة تدوي في الخارج)

حافظ : (من حوله من معرضين وممرضات)

اقبلت سيارة الاسعاف مرة ثانية ، تدادركوا من فيها

(يركضون بأسرعهم الممكنة)

(لعادل)

أترى هؤلاء للمدنيين يؤلفون جيشاً خطراً على العدو ؟

عادل : هي الحرب ، متى تجردت من الانسانية ، فكيف

زيد منها ان تنسك بالانسانية... انها وحدها عمل غير

انساني ، لا هدف لها الا لتثريه الانسانية ...

حافظ : ذلك حق ا

وهذه الثقافة الثانية ...

(ازين وصراخ من نساء ورجال واطفال)

(لم) : هلموا اولادي ... كشت

احضنهم حينما هوت علينا القنبلة ولا اوري
احداً منهم حولي .

حافظ : لا بأس عليهم ... اننا

انتشلناهم احياء ... عودي الي هذولك

لان العدو شرط لانتقاذ حياتك .

الزمان : ايام الحرب . في لية من ليالي
التارار الجوية .
المكان : بيت ومستشفى .
الاشخاص :
الدكتور حافظ
الدكتور عادل
طيار : زوجة حافظ . وام الولدين .
نجلاء : ابنة حافظ
طارق : ولد حافظ

الأسفل، وفي أي مكان !

(تدوي القنابل ، ويضال أثر الطائرات ، وللدافع للنادة)

عادل : الفارة اثر الفارة ! والانتقاض فوق الانتقاض .

عاطف : (يهكم) او ليست الانتقاض التي تسببها قنابل الحربية تذهب في وجه الحربية ؟ وما تسببها قنابل الوحشية تذهب للوحشية .
الآن ارسلاو سيارة الاسفاف تدور ، وارسلاو سيارة غيرها ...
ربما اودى التأخر بتكتير من الارواح المعلقة حباتها تحيط دقيق .
(يدق جرس التلفون)

عاطف : (نعم ، نعم ...) هيأتا كل شي ... السيارات
الآن في الطريق ...

سأذهب بنفسني !

(لادل)

الحسائر في الارواح كثيرة ، يظن ان نصف حي كامل
قد دمرته القنابل !

سأقف بنفسني على اجمال الانتقاض واستخراج الضحايا ...

عادل : كان الله ملك !

عاطف : لا تبرح مكانك (يخرج عاطف)

انظر التالي

« في الملجأ » (ام وولدها وابنها) امرأة الطبيب عاطف على سر .
شمة مرسومة بعد الام تحسن انبها ، وطارق بجانبها يمشي اضطراراً في
نفسه . الدوي يزيد شيئاً فشيئاً »

نجلاء : (لاهها عياه)

امام اكل اعضائي ترتجف !

عياه : هو في عليك يا بنتي ! انهم لا يضررون الا الاهداف
المسكربة ...

طارق : ولكن ايدل هذا الدوي القريب على ان القنابل
غير بعيدة عن رؤوسنا .

عياه : تخيل الينا ذلك ! ولكن الحقيقة ...

(هنا يسون بالبيت يرتجف زجاجه وتنطق ابرابه)

طارق : الحقيقة انهم سيصيبون سقفتنا !

نجلاء : اماما ضجني اليك اناذي اناي ! ان هو منا في هذه الساعة ؟
« تحاول الام عينا عدتها . لكن لدوي قد ابتد وان كان لا يزال »

عياه : نلمي يا نجلاء ! !

نجلاء : كيف اظم ولم يأت لني !

طارق : لا اراه الهيلة قادر على الوصول اليها ... لان غارة

الهيلة حنيفة تنذر بضحايا كثيرة .

عياه : ان واجبه يدعو الى استنقاذ الضحايا ، والبحث
عنهم تحت الانتقاض !

نجلاء : وبلا ! اينشلون الضحايا من تحت الانتقاض ؟ احقاً
يا امي كما يقولون ؟ انهم يجدون اطفالاً مشوهين تحت الانتقاض ،
ورجالاً مبتورين ... !

عياه : ويك ، ومن يوحي اليك بهذه الصور ؟

نجلاء : لقد سمعت جارتنا تقول اليوم : ان القنبلة التي سقطت
على البناية الكبيرة ، قشمت قشمتها عشرة اشخاص اختلطت
اعضائهم بعضها ببعض ...

طارق : انني لا استطيع ان اقبل اني الآن يدور تحت قصف
القنابل من شارع الى شارع بسيارته ... اخاف عليه الشظايا ...
حاملة المنايا !

عياه : قل : « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

طارق : يودي ان انطلق اليه !

عياه : واي طريق تسلك في هذه املااة ؟

« يشتد الدوي حق لكأنه يبع عليهم »

نجلاء : اماما ! امه ! اش . لا يمكن احتماله اعدينا بالسفر الى
الريف قبل مطلع الفجر ... لم يبق احد في المدينة .

عياه : وابوك يا نجلاء ؟ لمن تركبته ؟

نجلاء : (تردد باكية)

عياه : ليسن ذلك اعداً سنسافر عند مطلع الفجر .

طارق : واني ...

عياه : يبقى ليمنى للصايين ... اليس هذا ما تريدون ؟
طارق : انني لا ابرح مكاني بدوته ...

نجلاء : ولماذا يثقلوننا ، ويهدمون بيوتنا ؟ اي غرض لهم
في هذا الشيء ؟

عياه : ان هذا السؤال يتردد على كل شمة في المدينة ...
اما الجواب ...

نجلاء : الجواب ... تريدون الجواب ! هي الحرب ... كل
ما على الارض يثقلن بناها ، الابرياء فيها مثل المجرمين ... ومن
نحن حتى يتخذنا القدر من لظها ؟

طارق : ولكن اولئك يشتعلون بناها ، وينتفرون بتيارها
... لانهم ارادوها ... لانهم اشعلوها ليقتروا ! ونحن ماذا يصيبنا

إذا تحمّلنا القاملاً ... ؟ أولئك يموتون للفقر ... وغيرهم
يملكون للوطن ...

وغن لمن غرت ؟ لو سكن لنا وطن قلنا : هو الوطن يريد أن
يحيّا على أشلائنا، وهي الحرية تريد أن تلغ في دماننا ... ولكنني
التفت حولنا ... فلا أرى شيئاً غرت من أجله ؟ ليس ذلك حقاً
يا أمي ... هل غوت لشيء لا أعرفه ؟ أن كفن هلاكنا من أجل
الحرية فدميني أخرج مع الحارجرين ... وإن كفن استشهادنا من
أجل الوطن فأعذب بالوت مورداً !
هيا : (مضربة)

ولكن اهنا - وحدهم - يموتون ...
(يبرق عينا طارق)

طارق : أهدف أصبى ... ؟
هيا : للآشي ... (ينكس طارق طرفه) دائماً للآشي !
لقد مات أبؤك وأجدادك من قبل ... وتحضت هذه الأرض المقدسة
بدمائهم الآشي ... وكنت الناقبة في كل نكبة .
طارق : للآشي ... !

هيا : لقد أضفت اختك ، فأبعد الشيعة عن رأسها ... غلب
الكرى عليها وهي تظن أن دوي القنابل قد انتهت .
(نهض وتدير لها مكان كوما)
(ندق الساعة الواحدة بعد نصف الليل)

الا يزال تحت الانقاض مصابون يعملون على رفعهم ؟
طارق : سر على هذه القارة سامتان دون أن تنتهي ، وما
اظلمها ممتية حتى مطلع الفجر ...
هيا : لو سكن هؤلاء المصابون يعتقدون بأن أصاباتهم من أجل
الحرية والوطن لأن عليهم الدمار والنار ! ولكنهم يعملون أنهم
يصابون ، ويموتون .

طارق : للآشي ... ؟
هيا : هذا (الآشي) بلاحتنا دائماً ... ودلّا نتع هذا
(الآشي) يفضّض بلادنا الجبلية بأشع صرور السلام ... على مسارحها
يتنازعون ، وفي أطرافها وإهلها يعيشون ، فإذا القضية ليس لنا
فيها شيء .
طارق : امه ! ... أنا أصابني سوء فهددي روحي بيشاز
الحرية ... ! أحس أن اليوم الذي غوت فيه من أجلها قريب ...
رفاق لي كسيون أحببت بهم فأسلوا من أحضان أهلهم للقاءها .

غير عابئين بالشدائد ولا حافلين بالمخاطر ... صغارهم متاريس وممل
للإبطال ، وكبارهم لمكافحة الأهوال ... انهم عرفوا أن يموتوا من
أجل الحرية حيناً فادتهم الحرية ...
هيا : ولكن موتنا الآن ... ؟
طارق : لا شيء ... ؟
يجب أن يكون موتنا لشيء ... يجب أن يفهم الناس أننا نفوت
هيا : للآشي ... ؟
طارق : إذا لم غت الآن باسم الحرية فليقولوا لمن يقاتلون
من أجلها ! اننا متنا من أجلها .

هيا : لكن هؤلاء لم يأتوا يوماً ، ولن يأتوا ... قد انتظرناهم
كثيراً على مفارق الطرق ، ولوحنا لهم بأيدينا ، فكنا نوايى يكون
كل شيء إلا الحق ، وكنا يعطون كل شيء إلا الحرية ...
طارق : لمتأكدة أنت انهم لن يأتوا ... ؟
هيا : انهم مروا على هذه الطريق من مئات الاعوام ، ولا
يزالون يمرّون . نجدعونا فندفع ، ويكشدون علينا فنتش ... اما
ضحاياهم فممن دائماً !
طارق : ما أفلح هذا المصد ... ! لأنه ليست له سطور في
صفحة العيد .

(تكسو وجهه كاتبة)
ولكن يجب ألا نؤكدهم يموتون ، وإذا مروا فلنضم أذاننا
عن استماع دعوتهم ... ولنصرف انفسنا عن الاعتداع بحريتهم !
نحن وحدنا ... يجب أن نبقي هنا !
طارق : (باضطراب) لا لا ... لن نموت كذلك ! دميني
أخرج الى حيث اموت واقفاً ! يشتد قصف القنابل حولهم ، أريد أن
اموت واقفاً - كما كان يموت أجدادي ...
(يسع دوي عالق وترى سحب النبار فوق القتل)

الفصل الثالث

مودة الى المستشفى

(الازدحام كبير ، والاسرّة متعددة ، والاولين يزيدون ويترقى ...
يدخل احد للمرضى مضطرباً ، وزراه مع الطبيب عادل)
عادل : (في حالة اضطراب وبأس)
ويحك ! هل هلكتوا جميعاً ؟
المرضى : إذا ما استسلمنا استغافه من تحت الانقاض ...
(مشيراً الى سرير طاهر)
عادل : وهل بلغ « عاطف » هذه النبا !

المرض : ان سيارته كانت مبيدة !

عادل : ادعه يا عاقل ! .. ولكن لا .. ان وقعه سيكون خطراً اكلوا فناء الى غرفة العمليات ... وهنا الآن ان تخفف الكارثة بانقاذ من الموت .

(يحدق في نظر المرض للتردد)

أيسكون ذلك مستحيلاً؟ احمل الأطباء على إجراء العملية قبل مجيئ والده .. (يمان بالذئابة فيسمان منير السيارة للعبة) افان انه مقل .. وان نفسه حدثته بالكارثة ... دع امر إخباره لي ... ولا تتظاهر بأية خاطرة تبدو على وجهك !

« يدخل الطبيب عاقل وعلى وجهه امارات ما ليه من الحول والناء في صنع الواجب : ولكن البسة ترين ثرة »

عاقل : هل من جديد؟ هل من ضحايا ؟ انها ليلة مكشورة يا نضحت فيه من الاشلاء .

(لا يستطع ان يطلق ممة في حديثه)

عادل : حقاً ما تقول ا ليلة شهدت اعنف النارات وادهى النكبات ا تهشت فيها اجساد كثيرة ، وكشورت اطراف كثيرة . ولا نعرف ما يجيء لنا المزيغ الاخير منها ... عاقل : بقي انت لي تشاؤمك

عادل : لي الحق يا طيبي في هذا التشاؤم .. ادى الاشلاء تتناثر من حولي ... واصبح تأوهات المتوحجين الصم خائفه عليهم ، وتريد بعد ذلك ان اتفاد اطارب ا وما يدورني ان خزي ا لي ، اوفتي لك (يصف عاقل ولكنه لا يمل) قد طوته الانقراض ، او هو - هنا - على احد هذه الاسرة ؟ (متجبراً الى السرير) عاقل : (يزد رأسه كلتنتع)

(لا يزال الاين يصاحد)

ما زلتا نتحدث عن النارات والطائرات والضحايا والانقراض حتى ازت فوق رؤوسنا ، وانقضت على سقوفنا ! .. (صوت من اللاعة الثانية مرفوق تأوهات) (عادل عرف صاحب الصوت ، وهو يتأمل في وجه عاقل) الذي يطق ينثر (طارق (صاحب الصوت)

اريد ان ارى وجه ابي ... اليس هو هنا ؟ ادعوه لي ... احس انفاس الحياء تذهب مني ... وجه ابي . وجه امي ... عاقل : اين يصيح هذا الصوت . ؟

عادل : في الغرفة المحاذية ... صاحبه - ولا شك - تحت مشارط الاطباء .

عاقل : علينا به !

عادل : ولكن ...

(يبرد الصوت مرتقناً)

طارق : اني اشر بأنه قريب مني ، يسبحي ولا يسبحي ! الا ارف صاحب هذا الصوت ؟

طارق : ابتاه !

عاقل : (يركض منطرباً)

(يبي عادل في مكانه حائراً)

« طارق على سرير ، وحوله اطباء ومرشون ، يتواحين دخل ايره عاقل »

طارق : ابتاه ا

عاقل : ولدي ا

طارق : اني بخير ... ولكني لا ادري ما حل بأبي واخوتي ، لم اجد الا الدخان ، وانتال القرب تنحط علينا . فتحت عيني مددت يدي ... لا شيء الا الدخان ا اردت ان امشي فستقلت على شيء . ثم وجدتني مطروحة على هذا السرير ... مرض : (يتقدم للمرس السابق من عاقل)

توسمت عملية رفع الانقراض تجري بسرعة ، وربما يتمكنون عاجلاً من استبقاضها ...

عاقل : لم يلقه الكارثة بعد ؟ رباه ا ماذا خبا لي القدر ؟ (طارق يشعل ، ولكن على ثره بسمة المتعذب)

طارق : ذا سئل ما تقيته يا ابي ا انني راض جداً الآن ا

عاقل : اي شيء تقيت ؟

طارق : ان ادرك ... ا

هل يمكنني ان ارى وجه امي واخوتي ؟ لقد كنا نتكلم عن الموت والتضحية .. وقد حزني كلمة امي حين قالت لي « انسا نوت للاشي » احباً ما قلته ؟

انتهب حياتنا ضائعة ، وتتناثر اشلائنا وارواحنا بلا غرض ولا غاية ؟ قل لي لماذا نوت ، وفي سبيل اي هدف نسحق ؟ (عاقل يبي متألاً ، ثارداً ، قللاً لا يبر جواباً)

اخبرني هل ترى على وجهي شعامة الحياء ؟ هل ترى في عيني نورها المتدفق ؟ اني اريد الحياء ...

(طارق لا يزال يتسلل)

ولكن لماذا اريداه ؟ فاذا كنا نوت للاشي . فانا كذلك نغيا للاشي .. واولي لهم ان يدخلوا ارضنا خالية غسوبة ! .. ابتاه ما لي اواك لا تتكلم ؟

الدوس هكسلي وفنه الروائي

بقلم جيرا ابراهيم جيرا
مناظري الآداب من جامعة كمبرج

✱



الكتابة ، وبخاصة في عصر كهرتيا ، اجتاحت النظريات العلمية وقتلت المادة نشاطه الروحي . فلا بد لمن يريد ان يقارع العصر ويكتسبه من ان يجوز على المعرفة العلمية التي يتجمع بها . وقد استغل هكسلي العلم في شتى مظاهره في كتاباته الادبية ، حتى دعا البعض « الكتاب الانسيكلوبيدي » .

درس هكسلي في ايتون واكسفورد ، غير انه نشأ ناعاً على المجتمع وطوق الحياة كما وجدها بعد الحرب العالمية الاولى . فقد كانت تلك الحرب خاتمة عصر مضى وقامت عصر جديد ، عصر انتشر فيه الشك اولاً ، ثم التشاؤم ، وبعد ذلك عمه اليأس فأصاب العالم افلاس في الروح والاخلاق . ولم يكن الاستهتار المكشوف والعنف الفاشستي الا من مظاهر ذلك الافلاس الروحي . فادرك الدوس هكسلي ان العلم في تقدم مستمر ، ولكن ليس هناك تقدم روحي يوازي هذا التقدم العلمي ، فقال اذن لا بد للانسان ان يلحق الاذى بنفسه اذا استمر بجسه العلمي دون ان يعنى بجسمه الروحي . وبعد ان كان جده المشهور توماس هكسلي يدعو الجماعة الى الايمان بالعلم والى الايمان بالسعادة التي تأتي عن طريقه ، راح الدوس هكسلي يهاجم العلم وما يفرضه على النفس من فراغ وانصراف الى الحيوانية المتسكرة في زي الشدن الجواق ، مستملاً في هجومه اعلامه الواسع في العلم والتاريخ ، قائلاً ان الانسان لن يتغير من الدمار ، الا اذا عاد الى حياته الروحية بفنائها وينسبها من جديد .

وقد وقع هذا الكتاب تحت تأثير د. ه. لورنس D.H. Lawrence رجعاً من الزمن وما عجب به ، مع ما بينهما من فرق كبير . فقد

كان الادب الانكليزي اليوم في طليعة آداب العالم فان الدوس هكسلي Aldous Huxley في طليعة الادياء الانكليز ، وبالتالي فهو من القلائد الذين سطروا نفوذهم الذهني على الجيل الاخير في اكثر اقطار العالم المتسدين . وقد بلغ الدوس هكسلي هذه المرتبة السامية في عالم الادب والفكر منذ ان كان شاباً ، يكتب القصة القصيرة والرواية والشعر ، ويؤلف في الفلسفة والدين والرحلة ثم النقد الفني . ويؤلفه الدوس هكسلي في هذا علماء القرون الوسطى ، الذين كانوا يرفضون التخصص في ناحية واحدة من نواحي المعرفة ، ولا يختلف عنهم الا بقدرته على جمع شتات المعرفة ، كلها اراد ، في قصص وروايات طريفة ، يصور فيها عصرنا الحاضر تصويراً شاملاً ، ويصب عليه نقده اللاذع .

وقد اصطلحت الظروف المزدخية على ايجاد هذا الرجل الفذ ، فجده كان توماس هكسلي ، وهو من علماء القرن الماضي المشهورين ، وينتمي من ناحية امه الى النقاد والشاعر الكبير ماثيو آرنولد . وكان ابيه كاتباً وعالماً من علماء اللغة الاغريقية ، واخوه جوليان هكسلي من اشهر علماء اليوم ، ولهذا فان الدوس هكسلي يرب ثقافة وعلم كبير ، كترب المعرفة منذ نعومة انفسه حتماً . وقد كان والداه ينويان جعل الدوس عالماً ، وجعل اخيه الاكبر جوليان اديباً ، ففني الدوس اديب الامر بالمسائل العلمية وتوسع في دراستها ، في حين اكب اخوه على الادب . ولكن انقلبت الآية بعد ذلك فاصبح الدوس اديباً ، واصبح اخوه عالماً . ولا ريب في ان دراسة الدوس هكسلي لعلم دراسة منفصلة هي احد اسباب تفوقه في

كان هـ.د. لورنس عصامياً ، نشأ في حي فقير قذر من احياء عمال مناجم الفحم ، وحصل على مرفته بكعده وجهه . وكان ينظر الى الحياة بن طريق البدائية ، مستنداً على دوافع التريزة والموافاة الفطرية - في حين كان هكسلي ينظر الى الحياة من طريق الذهن ، فيسلط على كل شي سلاخاً حاداً من العقل ، يترى به قطعة قطعة . وفي حين رأى لورنس في الجنس خصلاب الطبيعة وجمالها ، افتتن هكسلي بالجنس وانماز منه معاً ، اذ رأى فيه الشهوانية التي توافق التشكك والانحلال الاجتاهي ، عندما يعجز الانسان عن مواجهة مشاكله الروحية ، فيتشبث في حماة اللذة الجنسية كدفع يتخلص به .

وقد حاول لورنس ان يجد طريقاً لنجاة النفس الانسانية من بين انقاض المدنية وقبح الحياة الصناعية التي استبدت الناس . فوجه كل سخطه الى « الآلة » التي هي رمز هذا الاستعباد ، وجعل ينتقل مع زوجته بين ارجاء العالم ، بحثاً عن مكان يستطيع فيه ان يحيا حياة البساطة : حياة الجسد النابض والروح العابدة . وقد رافقه هكسلي مدة في تعاوفه ، وهاجم المدنية مثل الوحشيتها وخوفاها الروحي ، في روايات اشتهرت بما فيها من مزج رائع بين الفلسفة والتهكم . وفي سنة ١٩٢٨ اصدر هكسلي كتاباً له سيقى اعظم كتبه (وكان هو حينئذ في الرابعة والثلاثين من عمره) ، والكتاب رواية طويلة عنوانها « نعمة ازاء نضال » (Counter Point) جمع فيها المؤلف عدداً من الشخصيات المتباينة يمثل مجسوما حالة المدنية في القرب كما وأما حينئذ . والشخصية الرئيسية تمثل هـ.د. لورنس (واصبه في الرواية مالوك رامبيون Rampton) يكافح عائلاً يتداعى وحضارة تأبى الا الاسفاف بمظاهرها ومقاييسها . وفيه سخرية تشبه سخرية فولتير من مادية العلم وشراسة الفاشية التي تقبل من الفرد آفة في يد الزعيم ، وخلاعة الطبقات الموسرة . ولعل رواية « نعمة ازاء نعمة » خير مقدمة لمن يشاء ان يفهم الادب الانكليزي المعاصر ، او ان يستمتع بابداع هكسلي على احسنه .

ويكمن تشبيه قصص هكسلي بنف التدمير . وذلك لانه ، كالكثير معاصريه المشهورين من الروائيين ، لا يهتم بقناعة القصة بقدر ما يعتني بتصوير الشخصية ، عن طريق الجدال والمناقشة ، يبحث فيها عن الطل الانسانية ، او يستضي بها المسائل الفكرية محلاً مفصلاً . وطريقته في ذلك هي ان يجمع اشخاصا في فحلات وولام - بعد ان نكون قد عرفنا شيئاً من ظروفهم الخاصة -

فيعرض لنا الكاتب الحوارات التي تعبت في صدر كل منهم ، وفي الوقت نفسه يدفعهم الى المناقشة والجدل . وهذا نطلع على حقيقة كل من هؤلاء المتحدثين ، فنشاهد تحليلهم الفكري واسفاهم الخلق في وقت واحد . ويستمر هذا « التشرح » ، فننتقل من ولية الى اخرى ، ومن اجتماع الى آخر ، الى ان تبلغ نقطة نجد عندها ان اكثر الاشخاص قد ماتوا في ارواحهم ، او قد ماتوا ضلاً . واذا ينصل هكسلي هذا فانه يثير اهتماماً دائماً ينصل فكانته المسترة وسفويته الضافية بوجلاحة غرايات كل شخص على حدة في شي . من الصراحة : ويجيبك هذه جميعاً في حبكاقوباً في رواية متلسكة الاجزاء ، متباينة الالوان .

ولكن ما هي المواضيع التي يجرحها هؤلاء الاشخاص في ولاهم ضمن هذا التهكم والضحك وهذا التحليل الفلسفي ؟ انها مواضيع المثقفين : قاحاديتهم كلها لبة ، تشير الى تسن ومعرفة لا عليها القاري ، لانها تدور حول المشاكل التي ما زالت تجابهنا : الفن ، الجنس ، المذبة الدينية ، تحليل المرء لنفسه ودوافعه والسياسة الحياة الروحية - او ليست هذه مواضيع الفكر عند كل امرى . متدبن ؟ ان هكسلي في الحقيقة ، عند مجابهته المدنية الغربية ، لا يفضل ذلك لكي يمتني على افضل ثرات فيها ، ويسعى الى فرز القرائن من بين قامة المدنية وركلها الخائق .

ومن كتب المؤلف رواية « ما اجل العالم الجديد » (Brave New World) وقد ترجم الى العربية مؤخرأ وطبع في عصر نعت عنوان « العالم الطريف » وفيه يصور هكسلي عالماً خيالياً تقدم في العلم ، فاصنع الناس فيه لا يولدون ، وانما يصنعون في المختبرات حسب الطلب ، ولا يبقى من ابناء العالم القديم الا جامعة يدورها ابناء المختبرات « جماعة المتوحشين » ، ويجادلون ان يقضوا عليها . وهذا يصور قلق هكسلي على العالم الجديد الذي سيقضي بفقراته وآلاته على العالم القديم الذي كان يتعف بالروحانية وحب الجمال . وقد عكف هكسلي مؤخرأ في كاليفورنيا بالبريكاً على دراسة الفلسفة الحديثة ، حيث يشترك مع جماعة من الادباء والشعراء في الايمان بذهب غاندي القاتل للسلالة . وكتاباته - او قل تطبيقاته - الفلسفية متممة ، كما في كتابه الاخير « الفلسفة الدائمة » غير ان شهرته مستمرة طويلاً على رواياته واقاصيصه . وسيبقى دائماً الكاتب المحب الى كل من تهمة شؤون الفكر ، ويقلقه مصير الانسان ، وتهمة الكتابة الذكية .

جبرا ابراهيم جبرا

بصرا

امومة الطبيعة

بفلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشوينات



الضحة الاولى من صوحات آآار البلية اللادسة
نسج الشياء مطلياً بأنفاس الربيع خرجت طليلاً
الى مباهج الموسم، موسم البعث والجمال والدفء،
فاستقبلتني عرائس الموز نائرة من زهورها فراشات بيضاء لوحتها
الشهية، وتبست لي بنات الشقيق بشفاء الترمز تودداً ولحياً،
بحال المركب الوافد، وغضت من حولي عذارى الانصوان فجوتها
سياه من تطلعي اليها بين الجرع الى عبا حسن الطليعة، فوثقت
مأخوفاً بروعة ما اوى كن عرض له حلم بحيل طاولين
وما هي غير فينة خافقة حتى دعني بعدها اجواق الصافير الى
استطارد الابد على كتف الهضبة مراوحاً طرفي في جوانب متوزع
الواح القتون الناظر المقلب.

فن اسفل الوادي حيث تكرر دموع الباء عالدة الى البحر،
الى المنعدر، حيث تتناول سويقات الزرع الى مجاذبة اغصان
الشجر عنساق النور، الى منبسط التربة المرتفع، حيث يضحك
نيسان على ضريع الشتاء، على هذا المسرح الحادئ تمل الحياة فصلها
الاول من رواية دورة الارض حول الشمس.

ولكن مثلي، في مثل ذلك المكان وتلك الساعة من العمر،
لا يستطيع السير طويلاً لئلا تعبت رجلاه، على غير قصد منه،
بأسباب الجمال وبراعم الحياة الطالعة في نظامها الازلي.

كنت أختش، إما تحركت، ان أضر طائراً يتنجر المكان
لعشه او اعيق من عمله آخر يتحين خلقي ليحمل قشة جافة لتككون
ضلاً ناعماً في مهد الفراخ الشديدة الظهور بعد اسابيع قليلة.

كنت أخاف اما مددت يدي الى بعض ما حولي، ان أسقط
في غير مكانه تقاح الحياة في عالم الحضرة المنبثقة من احشاء الارض

كترزاً تزدي رسالتها في حفظ النوع متحفظة ان يقوم هناك
مفسدة لنظامها الحادئ.

كنت أحملي ان احدث تنقياً، في غير دراية وعناية، حذرأمن
ان احبط بناء لدوية تمنى بامر حشاً ليروضها الحافلة بالواليد.

ولما ان كذلك لاحت لي شملة خذا بها فوح الربيع فذهبت
بين مباهج ابكار آذار، بعيداً عن قنبرها، لتجني عسلأ لمرارة

الافواه المتربصة بقوة خلاياها غنية باردة وحوى نادرة على موائد
الشمس البشوي. هذه الحشرة التي اخجلت كينياء الانسان
واذهبت عاقرة من البناء، واعيت انقلاب الفكر في نظام دولتها

وجاءت تساعد النيام في عمل البنات وامومة عرائس الحقل،
تركنتي ذاهلاً عن نفسي مستلقياً الى جانب صخرة تندي شقوقها
بالعلعب كان رسالة الربيع اخذت على هوامشها ان تغتني الصخر

منبتاً لطفيليات موكب البعث.
وصعرت من ذهولي على صوت يقول في غناء شجي .
« اي: الحياة تكثفت استلها ليمون بذك وانجلت اسراعا »

ونظرت فاذا بنباة قروية اندرجت بين نبات الربيع كبيت
الشاعر في القصيدة الملهمة الزائفة، وسمعت ان الفت نظرها الى
وجودي بمجرعة تبدر مني، ولكني عدلت عن ذلك وعدت الى

سكوني عندما رايتها تشيع بصرها الى هنا وهناك كأنها تخشى
ان يكون حولها من صبع غناها.

رصدها من وراء الصخرة فرايتها تداعب اعناق بعض الزهور
كما يذاعب التائد اومعة النصر على صدره وشهدتها تتنطفل افانين
من الصعقر كما تتنطفل خطرات النسم قبلاتها الناعمة . ثم صممتا
تناهي حلاً صغيراً كأنه دمية من الشالج خلفها كلون فاحياها آذار

مر الريح

☆

مر الريح

فأي شيء زنجيه

وأي شيء كان فيه

هو كالشاة

او الحريف

ظل كويه

يتد في الاوق الخفيف

ملا اعتنا

وخلاله كظلامها

وغامه كغلامها

ما دام في عيني دموع

بعلامتنا زنجيه

وأي شيء كان فيه

مر الريح

وهيه سر، غدا يهود

بمسوح قديس جديد

ليقول : وبك انا الشتاء

الا تخاف

الا يواليك ارتجاف

ويعر في واسر احلم بالورود

وبالشوع تضفي داري

وبالظلال على الجدار

يلطفن في صمت وديم

ضيه قال انا الشتاء

او لم يكن هو كالريح

مر الريح

لا .. لن يمر

فليس في قلبي دموع

بشراد بشر المبرري

واطلتها فتنة بين تلك المفاتن الساحرة .

ها هو الحبل يقتر لها مرسلًا ثغاه الماطين : « ما ! ما متلفتًا الى هنا وهناك كمن يفتش عن ضائع . وما هو يسر لسانه الدافئ . التامع على التامل قانده الذراء في مثل قبل الوداعة تطيع على يد العلهارة .

لقد غابت عن عيني تلك الصبية وحملها يوافق ظلمها ، فوقفنا وقفة المتعبد الضرع في هيكل الحشوع ونحولت بنظري نحوها . استطلعا اسرار هذه الامومة المائنة رحاب هذه الطبيعة واقول : « اكل ما اري وكل ما اسمع يتعني بها او يبعي جهون لها ، او على الاقل يتعني بها تأثراً يوحى الغريزة ودوافع تاموس البقاء . » وانت ايها الريح تطل على الدنيا بمفاتيحك وبمحاسنك وتغير الارض بدفئك وبنبئك فميتني بك الشواء . ويأخذ منك الموسامون ويخرج الى احضانك المتشوهون كأنك في نظر كل هؤلاء رسول الهجة ومبدع الوان الفن وموقع نشيد الالهام . نعم انك لكذلك ، ولكن كل هذه الميزات تجعها في واحدة وتفسها سرّاً تستله من جوف الارض مذاعاً في هذه الالواح والمباحع ، وهو في الحقيقة مجسوع في واحدة انت مجلاها النضير ومعهها الدافئ ، هي امومة الطبيعة . لي يبعي الحلال لم تتعني . احشاء الارض بعناصر الحياة التي كونها كاتون وانعرجها آذان لما انقشمت غيوم الشتاء الدكسا . من دبا صاحكة ، تحضن هنا وهناك مواليد تنفتح للزور وتهايل لمرور النسيم ، وتعلن في كل فوحة وفي شفة كل زهرة سرّاً مسن كوامن امومة الطبيعة .

فاذا خرجت الى دنياك المتعرجة الولود ، فلكي اري في حسن كل زهرة ، واسمع في شدو كل طائر مواسح في هينة كل نسمة وموجة كل صوت في احضانك الراجعة ، رمزاً من رموز المثل وتجديداً لاجعوبة الخليفة وولادة الارض .

واذا عدت من رحابك الالهة بعناصر الحياة المتجددة الربا بقطر الشتاء ، المشرتبة لعناق الثور واقتيال الدفء ، فلكي ادخل مأواي واحتضن بذور الايمان بالحياة الانسانية الخالدة ، تلك البذور الصبية التي تستحيل الى آمال نفس وروائد فكر يحجها الخيال ، فتفرتباعاً من نافذة وكري الضيق الى فجاج العلاء ، موعدها تمتنع ذاتي من قيود القرب وسجن الجدران لتلق بها الى عالم الانثاية . فرحى لك ورحباً بقدمك ياكرة العمام ، يا رسول الابد في معرض الامومة الخالدة .

نسيم نصر

الله سبحانه في الادب والفلسفة

بسم عيسى سمائيل ساجا

✽

يقس بن ساعة الايادي فنسعه من فوق راحلته يقول : « ان في السماء اجراماً ، وان في الارض اجراماً ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، وارض ذات رجاج ، وجمار ذات ابراج النج .

ثم نسمع زهيراً بن ابي سلمى .

فلا تكنن الله ما في قوسك ليكنس معها يكتم الله يعلم
يوثق فيوضع في كتاب فيذكر يوم الحساب او يعجل فينقم

وتتقدم بط الايام واذا ذكر الله مله الافواه مله السمع في
الادب واذا علي بن ابي طالب يقول :

الجز في درك الادراك إدراكه والبعث من ذات السر اشراكه
ويسمى او الاسود الدؤلي قوله :

ان العباد وشأنهم واموم يد الاله بطلب الاحوال

وفيه توكل وتسلم ، وان كمن الاتكال عليه سبحانه وتعالى
واجب او امر مفروض مندوب اليه ، فالسعي مع الاتكال
والكدح في طلب المزيد من خيرات الدنيا والكشف عن اسرارها
والبحث عن عجايبها فرض واجب عتوم و« سيروا في الارض
وامشوا في منابكها وكلوا من رزقه » دلي علينا ايضاً علي ابن ابي
طالب اول مفكر في الاسلام قوله : « ان العقل لاقامة رسم
المبودية ، لا لاحدك الربوبية » وقد انشد :

كيفية التقى ليس للـ يدركها فكيف كيفية الجبار في التدم
هذا الذي انشأ الاشياء مبتدئاً فكيف بدوكم متحدث للنسم

ويتقدم بنسا الزمن وتترجم الكتب الفلسفية عن اليونانية
والهندية والفارسية والسريانية ويأخذ العقل بالتطويل والتشكيك
ويتقسم المتفكرون الى فرق ويثني كل في طريق فيذكر الادب
بذكر الله وعظمته وقدرته ويموتون غير واحد من الشراء المتصوفة

الحياة ، وكان الانسان ، واذا هو يرى بعيني رأسه
كوناً مرتباً يسير على نظام واحد لا يتبدل ولا
يتغير في نظره ، ولا يمدوه الى نكلام آخر . رأى الماء مرصعة
بالدور الثوالي ليلاً والقمر يبعث انواره تحكي زيد البحر ابيض
مشوباً بسمرة ، فقال ان وراء هذه مكونا قديراً جباراً ، وراى
الشمس تضي . تباراً والارض تنفس عن فصولها فتخرج لكل فصل
مواتها ، زهراً وخضاراً وانواراً ، فراد ايمنه بيقيناً وجزم ان وراء
هذا كله خالقاً مبدعاً مديراً ، وما زال الزمان يكثر ، ولحظة
الابد تريد تفكيراً حتى تكشفت له الحقائق الاقلية ، فاصابه
قبس من نور اضاء امامه سبل ما استوعب ، فكان له الانبياء .
والرسل والمرشدون ، واذا الحب الفتي يتشكل في قلبه بموتنتج
له جوانب من الشكر فتجري على لسانه عقداً منظماً ، وآيات
بينات تملن الحب وتقر صادقة بقدرته متفرد واحد احد ، انلي
محمد لا تأخذه سنة ولا نوم ، واذا بنا نسمع امية بن ابي الصلت
يقول :

اله المائين وكل ارض	ودب الراسيات من الجبال
بناما وابتنى سباً شداداً	بلا حمد يرين ولا دجال
ومواصلاً وزنتها بنود	من الشمس للنيئة والغالل
ومن شهب تلالاً في دجاء	مراميا اشد من النصال

وكأني بأمية قد نظرت في الكتب المنزلة فقد بعض آي المزمور
بلثة والسابع والاربعين :

تسبحه الطير الجوارح في الغنا واذا هي في جو السماء تصعد
ومن خوف ذي سبح الرعد فوقنا وسبحه وحش الغلا وهو يابد
وسبحه الثنائ والبحر زاجر وما طم من شيء وما هو مغلد

ونسير مع الزمن نستقري المروي من افواه الرواة ، فنظفر

وغيرهم وينظون في ذاته العلية ويسأل العشري الامام التزالي عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فيجيبه التزالي بقوله : قل ان بهم عني ما القول انه كذا البعث فذا شرح يقول ثم سر غاضب من دوله خربت باليف افاق الفحول الى ان يقول له اخيراً :

فماذا كانت طوايبك التي بين جنيتك يا انت جهول كيف تدري من على العرش استوى لانك كيف استوى كيف الوصول فهو لا كيف ولا أين له هو رب الكيف والكيف جهول ثم نسمع محمد بن السيد البطليوسي يقول شاكرًا موحداً : الهى انى شاكر لك حامد واتى لسام في رضاك وجاهد

وكل وجهد عن وجودك كان فواجب اسفاف الورى لك واحد وان نحن نظرونا في ديوان ابي التاهية نجد الشيء الكبير من ذكر الله وحده ونكتفي بقوله :

نأى الواحد السد الجليل وحاشا ان يكون له دليل هو الملك العزيز وكل شيء سواه فهو متقص ذليل وكل مفوة انشئ عليه ليلته انفسر ذليل

ولم يقتصر ذلك على الشراء، الزاهدين والذاهبين مذهب المتصوفة بل ترى ذلك منه من اخذتهم الحيرة فلوقتهم في حصن بيبي ، في شأن الكون والخلق والابداع كابي البلاد المري الذي زاول دنياه وفي قلبه غصة وفي عقله حيرة وشك يقول :

حكم نذل على حكم قادر متروك في حيرة بكتال وانشد ايضا :

فتبارك الله الذي هو قادر شبي ونقص دونه الاوصاف ومن قوله :

تبارك الله وهو اجل قدرا من الاعبار منه بالتصالي

وان نحن بحثنا في مخلفات هذا المفكر المائل ثم يذهب الى ان الطير كالانسان تعرف دينا فيقول :

والطير مثل الانسان تعرف دينا وترى يا الشراء والرجازا فيهن مسهاب يمد ونافق ترك الفصال واكر الازيادا

ولكن رابعة المدوية الزاهدة الذاكرة الشاكرة التي عافت الدنيا واعرضت عن زخارفها وما فيها من لذائذ ورفاهية تقول :

يا مونس الارباب في خلواتهم يا غير من حلت به القفال من ذات حبك لا يزل الدنيا قرح القواد متيسر ملال

ومن قولها في الزرة الكلية :

اسمك حين حب الوداد وحيا لائك اهل لذاكا فاما الذي هو حب الوداد فحب شئت به من سواك واما الذي انت اهل له فكشفتك الحب حتى اراكا فاما الذي في ذا ولا ذاك لي ولكنك لاهدي في ذا وذاكا

ومن اقوال ابن جيب الحلبي ما ملخصه : نظرت ذات ليلة نظرة

في النجوم فاذا السماء كأنها روضة مزهرة او شيء مرهق او غدير تطفو عليه القواقع او يتسبح نور افاحه لامع او جمر في خصال وماد او كما قال من اجاد :

بساط نرد ثورث عليه دوائر تغاطلها درام

وبطاعة عبد الرحيم البرقي بقوله حيث يرى ان الله قاض القلوب والكلبي ، ويعرف ما في وما استلح لا تخفيه خافيو لا تند عن غطته شاردة او واردة :

يرى حركات التل في ظلم الدجى ولم يخف احلان عليه وامرادر وعصى عديد الرمل والطر والحصى وما انتشت نجده عليه واغوار وينشدنا صاحب الشيبانية :

هو الاول الذي بغير بداية واخر من يعي مقيما مويدا سبع بسير عالم متكلم قدر يعيد الماين سكا بدا وبشي صاحب بده الامالي فيقول :

بيت الخلق طرا ثم يبي فيجزيهم على وفق الحاصل لامل الحير جنات ونسي ولكفار ادارك النكاح وزي السبروردي او الشيخ المقتول يقول :

ابدا نحن اليكم الادواح وواصلكم ديانا وارجح وقلوب اهل ودادكم تتناقم والى اللبذ لتناقم ترناح

ولن نحن اخذنا بدراسة دواوين الشراء والمجاميع قديمها وحديثها نظهر بالشئ الروف نجد ان الله سبحانه قد حل في الادب العربي فكلمة وفيه فلا يغفل كتاب او قول من ذكره ما يدلنا على ان العرب قد اخذوا بنصيب خصب من البحث المتواصل في

الكون وخلقته من طريق العقل والمطلق وليس من طريق الدين ففسب وهذا عبد الباقي السري يفرغ من فوق انصان جنة طمانيته :

ما اذدوت فيه تفكرا الا وزدت تحسيرا

والى ودا تاداني العمل السليم الى ودا

وفدا يتاشدلي النني اطرقت كرا اطرقت كرا

فتكمت بعد نقدي ودمجت عنه القهري

وظقت انشد غاشا اين القربا من القري

ومن مرويقات الاصبى انه رأى غلاما اعرابيا يجيد ربه ويقول :

حطت غفائك يا علم قبل ان يصي الشاء عليك فيها قائل

ومن مظلوم الشيخ عبد النبي النابلسي :

ليت لو تشرم ماذا كنت من قبل ما مول الراي اختطرت

كنت لا شيء واصبحت به خير شيء بشرا قد طبخت

ونسجع شيخ المتصوفة ابن الفارض يقول :

كملت علمته فلو اهدى لنا للبد عند حمامه لم يخسف

وعلى نغن واصفيه بجنه يشي الزمان وفيه ما لم يوصف

وقول ابن دريد في مريضته :

فلت علمته فكل مريض بالهن من ادنى مداء واقف

فاذا بدت تسمى التبارد وجبه وجعت ولون التبرد منها كلف

فرد العائن لا يقوم بوصفه ابداً وان بلغ النهاية واصف

وننتقل الى ما جاء في اقوال مفكري الغرب ، قال ابو حيان التوحيدي في كتابه المتأنيبات ما نصه : « ان الله واحد على لفظ ذات ، لا شوب فيها ، لا يتجزأ ، لا نمت لها ، وإشارة الى هوية لا عبارة عنها » ويقول الفارابي في المدينة الفاضلة ما معناه : يوجد كائن اولي لازم الوجود ، تلم الكلال منه تستمد الموجودات ما فيها من كلال وهذا الكائن هو الله .

ونتقدم الى ابن سينا فيقول لنا في كتابه النجاة من مقالة الالهيات : « الواجب الوجود له الجمال المحض والهاء المحض ، اذ لا يمكن ان يكون جمال وبهاء فوق ان تكون الماهية عقلية محضة برة عن كل واحد من انحاء النقص » وقال في بدء رسالته في الحدود ما نصه : « الباري عز وجل لا حد له ولا رسم لانه لا جنس له ولا فصل ولا تركيب فيه ولا عوارض تلحقه ، ولكن له قول يشرح اسمه وهو انه الموجود الواجب الوجود الذي لا يمكن ان يكون وجوده من غيره او يكون وجود لسواه الا قائلنا عن وجهه » ووصف ابن طفيل في رسالته الموسومة بمحيي يقظان ، الله قال : « لا نهاية لكماله ولا غاية لجسده وجماله ، وهو فوق الحسن والهاء ، ولا جمال الا صادر من جهته وقائض من قلبه » هذه عظلة الشوق قد تجلت على البنية الشراء والمفكرين من ابناء هذا الشرق العربي ، قبات على ابناءه ان ينظروا في قوى الطبيعة الحسابة ، ويستنطقوها علماً علياً في عتبات العلوم والمعامل حيث تتجلى قدرة الله في خلقه ، يا استر في كونه ، شأن رجال الغرب وقد الفتوا عن الخيال الى المحسوس فأنطقوا الطبيعة اسرارها ، وظهرت عظلمته تعالى في ابداع ما اوجد العقل .

لقد مضى زمن الاتكال وحده وجاء زمن الاتكالمع العمل والبعث في دقائق الكون عن طريق النقل المعلي لا النقل الحديسي وصرنا في عصر لا يعني فيه الفن عن الواقع والقول عن الحدث ان عظلة الله ظهرت في الادب قديماً فلي الادب المعاصر ان يظهر اعمال الله في عقول مخلوقاته ويميل اثر الابداع والاختراع مظهرأ من مظاهر القدرة ، فالحدس المبرود من الفكر عظم ، فقلنا ان تفكر وتعمل ، ونجد ونبت ، منصرفين عن الاتكال وحده ، فأدب الارض وما فيها ينتظره ادب الجيل الجديد مرهدين مع احسد شعراء المهجر :

من ليس يحسبه الحسام فليس تحسبه الصلاة

عيسى سكاكيل سبابا



الاربع

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوئها شهر

كلون الثاني (يناير)

تدلم قبلة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً سورياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الأرجنتين ٥٠ ديتالا

اشتراك الانفصالي :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اقل

في الخارج : ١٥٠ جنيه سورياً او ٦ دولارات

او ٦٠ دولاراً كحد اقل

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

•

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب اندرس ، شارع الكروبية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ Direct : 47 - 92
المقر : ٣٧ - ٤٨ Dete. : 37 - 48 }

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : الير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان



الكثيرون من اهل القرية يعرفون قصتها ويرونها وكأنها اسطورة من الاساطير، فقد شاهد سجناتها البعض، وصممها البعض الآخر عن افواه آياتهم واجدادهم، وكانت اسطورتها العجيبة تختلف بين رابر وآخر، ولكنهم كانوا يجمعون على انها حزينة مسمومة، وعلى من يشك في حزننا ان يذهب الى مكانها هناك حيث المنزل المهجور ليرى ما وقد انحنت على الجدار المتهمم، وطالطأت رأسها الى الارض في يأس وهمود، لا تكاد تحرك ما بقي في قتها من جريد اوشك على الجفاف، الا عندما تشتد الرياح والزوايع وتمتد بغيرها من النضيل الشاب الساق في الفضاء، فيبدو في قلبه واغنامه عينا ومثالاً وكأنه مجذوب اخذته الحلالة، لشدة ما تمتد به الرياح الهائجة الغضوب، ينأى هي تحرك رأسها في بطل، وكأنه رأس عيوز مثقل بالموم، وقد بدا الجريد الذليل كشرشات فانية توشك ان تقتلع وتلدغ الرأس المهوم اجرد من غير غطاء، بقيه لفة التبرط في الصيف والزهر في الشتاء.

قال بعضهم: انها قد اصيحت محسكنا منذ الليلة التي مات فيها آخر حفيد لمالك البيت الاول ذلك الذي غرست بذرتها عند مولده، وتزعرت معه وعاصر شبابها شبابه. ولها منذ

تلك الليلة سمعت وهي تنن في قايها انبثاً حزيناً، وانما عندما اصبح الصباح وأوها مائلة هكذا على الجدار، وقد ذبل بعض جريدها خلال الليل لانها كانت تحس ان ذلك آخر حفيد لصنها مالك البيت، وانها لم تغيب ولداً ولا بنتاً، وان البيت سيؤول الى ورثة آخرين لم يعيشوا فيه من قبل ولم ترغب في وجودهم يوماً ما مجوارها ا وقال البعض، انها في ذلك الصباح ادرخت جريدها الى جانبها، ووقفت صامتة لا تتحرك بنة او يسرة وكأنها قد صليت في الفضاء على الرغم من عصف الريح في ذلك الصباح البعيد ؟ ولكن البعض الآخر ممن يحفظون اسطورتها القرية ويدعون

العلم الصحيح بها، كانوا يرجعون بالقصة الى عهد ابعد، ويروونها من يوم ان نبتت من الارض وصار لها وجود منذ مائة وعشرين عاماً بني هذا البيت الكبير، وكان

صاحبه رجلاً طيب القلب ميالاً للخير والصلاح، لا يحب الاذى ولا ينظم احداً، وكان صديقاً جيداً لولي من اولياء القرية الصالحين. وذات يوم جاء هذا الولي الى بيته وكان يأكل بعض ثمر البلح فشاوره بعض تلك الثمار، ثم علم الولي في خلال الحديث انه سيرزق بجلود بد بضعة اشهر، وانه يدعوه لمشاركته في اختيار اسم لذلك المولود. فاختار الولي اسم طفل وأكد ان الذي سيولد سيكون طفلاً لا طفلة، وانه سيسمى وستسكن له ذرية طيبة ا ثم امسك بنواة آخر ثمرة من ثمر البلح الذي كان بيده وناولها له قائلاً: خذ هذه النواة واحفظها حتى تجف ثم اعطينها لافرسها لك يقرب هذا الجدار لكي تنسو مع الطفل الذي سيولد وتزعزع معه وتشاركه هو واولاده واحفاده اقراهم، واحزانهم جميعاً. وانصرف الولي واحتفظ صاحب البيت بالنواة وكأنها هدية تيسية حتى اذا ما جفت وصارت صالحة للفرس اطساها الرجل لصديقه



بكرم الله ابنه فطب



الولي الصالح فقام بفرسها وكان ذلك يوم (سرع) الطفل الذي تنبأ الولي بولادته وما لبثت النواة ان نبتت واخذت تنمو نمواً سريعاً، وقد راح صاحب البيت وولي الله يتصدانها ببنائتها وصوبهما، وكان الولي يباركها ويمسحها بكفيه وراح الطفل ينسو وهي تنسو ويژهو اخضاروها وكانها والطفل تؤمان. وبدأت كرامة الولي الصالح تدعش من في البيت جميعاً، فقد اخذت النخلة المباركة تشارك الطفل حتى بعض اطوار حياته، فعندما يمرض تقي هي وتصبح فاذا هي ذابلة يميل لونها الى الاصفرار، وكلما هي مريضة مثله، فاذا ما تأكل للشاء، راحت تخضر من جديد ويعود اليها لونها الزاهي البهيج. وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره كان يلعب في يوم من الايام بالقرب منها هو وبعض رفاقه الاطفال، فلكسه احدهم فوقع على الارض وقد اصيب بجرح في رأسه، وفي اليوم التالي وأوها وقد دلت جريدتان من جريدها حتى لمسا المكان الذي وقع به الطفل. وقد اعتقد الذين رأوها ان

الاطفال هم الذين اماروا هاتين الجريدتين وهم يلعبون، فلما سألوا ليتأكدوا اسيروا بأن الاطفال لم يمسوها في لعبهم، ورأوا الجريدتين ترتفان شيئاً فشيئاً كما



صاحب المنزل ، إلا واحداً منهم وكان قد بقي ليعاها أو ليعاد ، وكان الدنيا لم يرضها ما أصابه في آله وأخوته فراحت تكييل له الكوارث والأحزان ، حتى اضطر عقب كثرة مسالية إلى بيع ثلاثة أرباع المنزل الكبير ، وعاش هو في الجزء الباقي الذي احتفظ به لكي تظل النخلة في حياته . عاش وحيداً مجاورها لم يتخذ له شريكة تؤنس وتتحف عنه متاع الحياة ، ولم يطل به المقام في هذه الديار فضي وقد بلغ من عمره الأربعين وكان هذا هو الحفيد الوحيد لصاحبها الأول الذي نشأ المنزل وأوجدها في نائه الرحيب . وآل ما بقي من المنزل التبدى إلى أحد الورثة الأقربين ، ولم يكن في حاجة للسكن فيه فاستعمله لتخزين علف الماشية وما يحتاج إليه من الحطب وأعواد الدرة الجافة للوقود . ومنذ ذلك الحين أخذ جذعها يسرع في الانحناء والدبول . وارات رأسها المتعب فسرق حافة الجدار في حزن يائس ، وكفها يحمل هذا الرأس المكسود عبر الأليم والسئين .

وكان البعض من أهل القرية يؤمن بأنها روح ذلك الولي الصالح الذي غرسها منذ ذلك الأمد العبد . وكان أهل القرية جماً يجمعون على الأطفال البش بها ويجريدها وسعها الذي يتساقط بشمل المريح ، فهو يهبط مقدس لانه بعض أجزاء تلك الروح الكبيرة التي لوديت هذا الهيكل الجاف الحزين .

وفي ليلة من ليالي الخريف الباردة كانت الرياح تعصف بكل شيء في القرية الهامجة في ظلام الليل الحالك المدمم . وكان النسيم بتأيل بشدة وعنف بمواضات جريده وسفه المضطرب تتلاقى في صفاء القرية تفتت في الليل جلبة رهية ، وهي تحتلصط بأصوات الرياح ، واهتزاز أعواد الدرة الجافة التي تسج بها أسطح المنازل ، ثم أصوات الملايين المنشورة هنا وهناك والتي يبعث بها الهواء فتبدو كالتساطين المتعددة الأشكال والألوان ، تتنفض ثم تنقبض في سرعة واضطراب وسط ذلك التلاطم الخفيف . في الخيزع الأخير من تلك الليلة الحالكة عندما اتبعت صوت المؤذن في جلال رهيب ، في تلك اللحظة استيقظ بعض أهل القرية فرعين على صوت انهيار شديد ، ولم يشك أحدهم في أن منزلاً تقريباً قد انهار ، وقد انتظروا حتى يذغ الزور ليستظلموا الجهد . وفي الصباح كان أهل القرية يتأيقون إلى منزل النخلة الحزينة . حيث ترقد هناك جثة هامدة في الفضاء الجالور للجدار المنهار . .

وظل هذا حالها وكأنها قد ارتبطت بمعبر يسط سجري . فندما صار شاباً في العشرين وأقيم حفل زواجه ، وأوها تتأيل في الفضاء طرباً على الرغم من أن النسيم كان هادئاً جليلاً يدفع بها إلى ذلك التأيل الملعون . وكان سبغها وجريدها تحتض اصواتاً كثيرة متباينة ، وكأنها تشارك الموسيقى بألحانها الروائية المسورة ! وفي ذلك العام انشوت اضطاف ما كانت تشر في الأعوام السابقة . وكانت تبدو لمن يراها في صموتها ورشاقتها ، أن قلبها يتلى ، بالسحابة ويطلق البشر والسرور . وكان الكل يصبون عليها صفة الأدمية ويتعدون أنها تعيش معهم بوجدانها وحاسمتها كأي أدمية حية .

.. وعندما انتقل صاحب البيت الذي غرسها مع الولي الصالح ، إلى رحمة الله وأوها منكسة جريدها بضعة أيام ، وكأنها تشارك الجميع في حزنهم وكآبتهم . وفي ذلك العام لم تطرح ثلثاً ، وكنت هذه أول مرة منذ أن اكتملت واتمرت ، غير أن الحزن زأيلها بعد هذا العام وأخذت تشر من جديد وتبسم الدنيا ، فإن صاحبها الذي غرست عند مولده ما يزال حياً وما يزال البيت حارماً به وبأبنائه .

وانقضت الأموم سريعة بين يوم وليلة ، وشرق وغروب ، وتحول شباب صاحبها إلى كوهلة ، ثم إلى هزم ، وهي في وفاتها له ذلك الوفاء النادر الغريب . . وعندما إرتأبب الأعراض صاحبها شاركتهم مرضه وذبوله وراحت تسقط بين يوم وآخر بعض جريدها ، الواحدة تلو الأخرى .

وفي ليلة من الليالي كانت رياح الخريف تعصف والأوراق الجافة تتطاير في طرقات القرية وتلف حول نفسها في سرعة واضطراب ، تنذر بزحيل سريع . وفي الخيزع الأخير من الليل دوى صوت جازع من خلف إحدى نوافذ البيت الكبير ، وخرج إلى الفضاء ينعي صاحبها الذي قضى . وعندما اشرفت شمس اليوم كان الكثير من جريدها الذابل يتساقط بين الحين والحين .

وانقضت ثلاثة أعوام لم تشر في خلاها شرة واحدة . وأبدأ جذعها يميل قليلاً نحو الجدار . وبذل ابنه صاحبها جسداً كبيراً لاحتياها من جديد ، فضفروا حولها وملأوا الحفرة بالطين الحصب ليجدوها شابها ورونقها . واتمرت بعد هذا الجهد الكبير ، ولكن انحناها لم يستقم بل راح يظهر واضعاً كلما مرت الأيام وتقدمت بها السنون . لقد بدأ شابها يذوي ! . .

ومضت أعوام ، وزحف على القرية الآمنة وباء هناك اهالك ما يقرب من ثلث سكانها الرادعين . وهلك بين من هلك أبنا .

التعارف الروحي بين الشعوب واثره في توجيه الانسانية

بنف امر سور

✱

تحقيق الوحدة بين الشعوب التي اخضعها ، ولكنه ظل السبيل الى هذه الغاية حين اعتقد انه سيصل اليها عن طريق « تراويج الدم » اي التعارف الجسدي تأسيساً ما للتلاحق الثقافي والتعارف الروحي من اثر في توحيد نزعات الانسانية .

ومما ما كانت الاتصالات الانسانية بعيدة عن ان تكون سبباً مباشراً لها ، اي ان الحاجة لتحقيق الوحدة غير ملحوظة في مسيحاتها وبرايمها . وذلك لطبيعتها الانانية الفردية ، وما يواكبها من شهوات القرلة الشخصية . فحينئذ على ذلك يقدمه لنا التاريخ هورحوب « نابليون » ذلك النمر الجبار الذي بسط ظل جناحه الامين في اجواء اوروبا ، وحسلم ان يظل اليمبر آفاق الشرق المسجورة ، لينتفض بعد ذلك فيستل بمقتاده الاقف اضخم شريان لاضخم امبراطورية .

لقد سكن من اليسر تجنب النكسة الروحية ، لو سخر نابليون ايجاده كقائده ، لمثل كلفان ، ولو تواضع امام كبريائه فأقام بدلاً من ذلك المر السياسي ، تجده النكبات من القرب الى الشرق جسراً لتلاهي عنده المدنات وتداخل الحضارات عن تجاذب وتجاوب وتقال . ولكنه اراد كفاتح ، واراد بعده الفرييون — كما ارادوا من قبله — ان تكون رابطة الغرب بالشرق رابطة موقوتة ، خيوطها الاستعلاء والاستعلاء والكبر والاستعلاء . فكان الشرق بنتيجة ذلك سلباً بالنسبة الى الغرب . وكان الغرب كذلك بالنسبة الى الشرق ، وكان طبيعياً ان ينتج تصادم السلبيتين تنافراً روحياً يحاول دون العمل المشترك توحيد نزعات الانسانية . اما المحاولات الامعنية فقد جادت على ايدي فريتين من المختارين

ابرز ، بذات الانسانية ذلك الاندفاع الثقافي الذي يوجه نزعاتها نحو الوحدة ، وذلك العصر الميق بالتجانس الفكري ، والانسيام الجسداني بين مختلف الشعوب التي تضطرب فوق هذا الكركب القلق العاثر .

فالبرس الانساني بظواهره المادية المختلفة يبرز الصبي مثلاً كما يبرز الرعي في مجاهل افريقيا او ادغال امريكا ، غير ان درجات هذا الاحساس تتباين بقاءً لمستوى التنشيط بين هؤلاء ، اي انه يستطيع ان يتخذ الرومي مقياساً لتصنيف درجات هذا الحس المشكوك الذي يترفع الى اسفل حتى يبلغ درجة « النكد » في السالات التي يجأ الكائن الانساني فيها حياة الصور العجرية الاولى . كما يترفع الى اعلى حتى يبلغ درجة « التلور » ، وذلك حين يقدر للفكر الانساني ان يعب في طريقه الى الكمال من يتابع الخلود الثلاثة الحوية : الحق والخير والجمال .

وما تاريخ الانسانية الطويل الا اضطراب بين هذين الحدين وجذب بين هاتين الدرجتين ، سلسلة من المحاولات بلوغ الاهداف الانسانية العليا . ويمكن القول ان هذه المحاولات اتخذت مظهرين متضادين مما يسمح لنا ان نقسمها الى نوعين من المحاولات : عنفية واخرى لا عنفية .

اما الاولى فقد كانت الحرب دائماً اداتها المفضلة ولكنها لم تكن دائماً واضحة الغايات ، مكررة الاهداف ، بل ان منها ما تجلت فيها الانفعالات الانسانية فطرتاً نسبياً على العوامل الشخصية الضيقة من حب للشهرة وارضاء لشهوة التمتع ، وقد جثم المجد العسكري ، وحروب الاسكندر تصلح مثلاً لها ، من ناحية انه كان يهدف الى

تضيق لذلك بطابعين : طابع ديني ، وآخر فلسفي . فالأديان والمذاهب التي بشر بها الأنبياء ، والرسل ، والمصلحون الدينيون لم تكن تمايلها - في جوهرها - الا قواعد للاطلاق ، ينطلق منها الفكر الانساني مدفوعاً بطاقة إيجابية ، قوة الغالبية ، خيرة الاشعاع مما تضال حقلها الشعاعي وانكسش فانها تظل على الاقل ، تنير زاوية الضيق ، وترتكز في حس الانسان الشعور بإنسانيته . وما من رديء في ان هذا الشعور كان ينظم الجماعات المتباعدة اذا ما ربطتها القرى المتعادية وأكث بينها الاخاء . ابلندي . ولكن الشيء الذي يؤسف له ان هذا الشعور ظل شعوراً غامضاً مبهماً ، لم يرق الى درجة « الادراك » لان السلطان الديني بسط ظله على الجماعات ككتل تحس حاجتها الى هذا ، ووعي ، فتساقط طليعة الى حيث ترجو ان تجد هذا القذا . لا كأفراد يدركون ان تعاليم الدين هي آخر ما يمكن ان يصل اليه التفكير الانساني المستقيم في بحث عن مثل يستهدفها الانسان وينظم مجسها وصلاته ، فتسبي ضوابط للتأمل ، وضمانات أكيدة لرفاه البشري . والفلاسفة الانسانيون وحدهم هم الذين استغفروا المتصد الأكلي من تزييل الاديان ، وادركوا انه يجب ان يسبق الايمان ادراك هو « ايمان القول كما ان يفضي الى الادراك ايمان شك وارتياب . والا ، فلأولاه . قادران تطوح في كل آن بأفئته الانسانية ، وما توجيه اليها . من مثل وشرائع ومعنى ذلك انها تنكس موانئها تنقز الى الظلام بحسب جنوني . وما الحروب تنشب بين جماعات او كتل كان المفروض فيها ان يلجم الاخاء الديني شروها وحماقاتها ان نتيجة صعبة مؤسسة للتقليد الجاهل والتوارث القوي توتي الانسانية سرارة جنبها يوم تكتمل ثقافة الجماعات ، ويتم التعارف الثقافي بين الشعوب اذ ان الانسانية لا تطمع ان يأتي يوم تكتمل فيه ثقافة كل الافراد بل تطمح ان يزداد عدد تلك الفتنة الفاترة الزاوية فتزداد بذلك مصادر الاشعاع الانساني . كما تطمح ايضاً ان يتاح للثقافات ان تتلاقى عند خطوط تكبرى استجابة لرغبات خفية تنبع من اغوار الارادة والوشية العامة ، لا كما تودت ان تتلاقى وتتألف تصارفاً قسرياً فتدخل غائرة يتغنى وراءها الاخضاع السياسي وشهوات الاستعمار .

وانما لطمة في صميم الانسانية وجريمة في حق الانسان ان تستغل السياسة نحو الاديان ونباله الفكر كموثسرها لحمة امرائها واتانياتها متجاهلة ان يتابع الخلق هذه ، ارض مقدس للانسانية جماعات كالمنازل المهادية المراكزة فوق صدور الناطلي . تهدي اليه السفن الضالقة تدفقا تقيظ او استنارة .

ان « تغور » لم يكن ثروة روحية للهد وحدها وانما كان للشال الكامل لسو الانسان لان نزاعته لم تأتلم ولم تكبت انطلاقها حدود تعارف طليها الناس ، فواصل هوية بين الأمم بل تحطتها لتنداح في مضطرب اوسع ، مداه رحابة العلم .

« غاندي » حمل الهند الوديع ساءه كل الاساءة ان تكون علاقة انكساراً ببلاده علاقة الذل ، باطل . فتأدى بالسلية المسألة : بالاعراف فكانت نسبة ترفد ينوع الحبة الانسانية ، لانه كره في بريطانيا وجهها السياسي واساليب ساستها ، ولم يكره فيها وجهها الانساني تعال من قداميه ملاح « بيرون وشكبير وامثالها ١١

« تولستوي » يرى من دمه الجهل لانه جعله امي مائية من الفلاحين . وحارب الهندية لانها انسياق آثم نحو البرية . وحارب الامية لانه اراد لهذا الحق الذي يدعونه « الانسان » ان يبصر النور ويعيه . ويشغل تصرفاته فلا ينساق لقتل اخيه اذا مادعته موجة شعورية تولى توجيهها الموى ١١

هؤلاء وامثالهم يصنعون خيانة الانسانية بالفعل يوم ينزف الناس عن تجاهل الحقيقة ، واقل تجاهل الحقيقة لانهم رغم اقتناعهم ان الحقيقة لنا واحداً لا ينفك كونها كوننا بألوان مآزيم واطلهم . وهذه الحقيقة هي وحدة المشاعر والاهداف الانسانية الكبرى التي يتوجب على الاسم والشعر اذا اردت لنفسها وحضارتها السلام والطمأنينة والبقاء ، ان تتبذرها متشبه غايتها ، وتكسوها في تنسيق علاقاتها وروابطها ، وليس ذلك بصغير ما دامت هذه الوحدة في صميم حس الاجتماعي وما دامت تجد في جوهر الدين وآراء المصلحين الانسانيين يتابع غداقة بالحير شينة بتوفير السعادة للناس .

ان يوماً تنتفع فيه بحرية الحب من هذه البنائيم ، وحرية الاتصال والتعارف الوحيين ، ليوم عظيم في حس الزمن وحس انفسنا واولعنا لانه مبدأ تحول مشرقتنجم على اثره الجماعات مع خلجات الكل الروحي وتجناس عجوبات البشرية في سبيل الاخاء ، والسلام ، وتأنف الحكومات استخدام العنف في حل مشاكلها فيقضي بذلك على الحرب كفسكرة وكوسيلة .

قد يعترض ناقد : ان جمهوراً غفلاً من يقوم على الارض يكون تتحقق ابداً في دنيا الناس ، فأجيبه : ولم لا نتخذها هدفاً مستحيل التحقيق ؟ ولكنه موحد للجهود ، محدد للوجهة بدلاً من ان نذكر الانسانية دائماً بنظم فروع وطنيين بيون ٩٩

أحمد منير

عش الدباير

فلم برع قهر الرب

من صاحبي قصة القرد وارقب معا ان يكشف لي من عنقه . وفي خلال الطين الداوي في جنبات رأسي ادركت انني لم ادع صاحبي في تلك الليلة الا لاستييده قصته . فقد كانت تستهويني منها تلك النشوة التي افرق فيها وانا اصمها من فم فيلبس عندئذ على صمي وفيه كل شيء . حتى القصة نفسها وانتظر وصوله الى حكاية القرد فلا اصبر من نشوتي الا على منظر اثر العضة في عنقه وقد رفع قيضه عنها .

وارتفع الطين في اذني عالياً جداً كأن شأ من الدباير هبني رأسي . ومرت علي هبي بشاوة حجت عن بصري كل شيء . الا قيضه فقد بقي نظري عالقاً بها كأنني مسحور . ثم رأيت كأنه يقرب مني وكان يديه تبتان بياقته وتفككنا وحينئذ كلمه الهق وقبل ان يمي على شيء . اخرجت موسى الحلاقة التي كانت مقترحة في جيبي وحزرت بها عنقه .

اقسم لك انه لم يتألم اذ لم تمر اكثر من ثانية واحدة بين سحب الموش من جيبي وسجها على عنقه . . . انتظرت طويلاً عجي . رجال الشرطة وانجهم انني قتلت صاحبي لانه كان يضايقي ولم ادخل معهم في التفاصيل . ثم حركت وقد توليت انت اذ دفاع عني بطريقة لم ارض عنها في بادئ الامر . ولكنني الآن اقر انها كانت الطريقة الوحيدة لتخليصني من المشقة . لقد اثبتت للعكسة انني مجنون وارك الاطباء على ذلك فاستطعت بهذه الوسيلة ان اتحدث القضاة الاطباء معاً . . بل لعلك كنت انت نفسك مخدوعاً وصككت تعقدي في الواقع مجنوناً . ولكي ساهرن لك انني كنت مالمكا

قصة

هذا الكرسي اندي انت جالس عليه جالس هو . وقد رفع كأس الكرنياك وجرح منه جرعة ثم وضع مكان هذا الصحن الذي تنفض فيه سيكارتك . وكان هادي . الاعصاب . وانا كذلك كنت هادي . الاعصاب . لا كما ذكر نص الاتهام واقنع به القضاة واقنعت به انت من انني كنت في هياج عصبي كبير . . . وكان يحدثني حديثه الداوي وقصته التي سمعتها من فم حشرات المرات . قصة رحلته الى افريقيا ومغامراته في غاباتها واصطياده السباع فيها . وكنت انتظاهر بالاصفاء اليه ولكنني في الواقع لم اكن اعي شيئاً مما يقول فقد رحمت افكر في اموز اخرى عشت احاول ان اتذكرها الآن . اما هو فقد بقي مسترسلاً في سرد حكايته لا ينقطع عنها لا ليخرج جرعة من كأسه يستمد منها قوة ويندفع في الكلام من جديد .

ثم قام وتركنا على هذه الطاولة التي تراها الى يمينك واطفا سيكارته وعاد فجلس . ظننت انه سيختصر حديثه هذه المرة وانه ينوي السكوت . فوجدت ان ينزل ولكنه عاد سريعته الاولى عاد بتشكلم على وتيرة واحدة ويتابع قصته التي اعرف كل تفاصيلها كنت اعرف انه سيصل في حديثه الى حكاية القرد الذي عضه في عنقه وكان ان يقتله . وكنت واثماً انه عندئذ سيفك ياقته ويعرض على نظري اثر العضة .

لم اعد اصنع شيئاً من كلامه الا عني متواصلاً يشبه الطين الذي كان يتجاوب في رأسي عندما كنت انا بنفسني في افريقيا اتعالج بمجرب الكينا اذ تتناهي احوار الحمى .

واخذ الطين بعلى في اذني وبقايد بشكل سريع وانا ارقب

قروي العلية بكاملها فبوسعي ان احص
لك الدفاع الذي القيته في المحكمة ولو
كنت مجنوناً يومئذ كما زعمت لما استطعت
ان احفظ منه شيئاً .

لقد قلت لهم ان موكلك غير مسؤول
فقد اصابه مس بقله وانه لم يكن هنالك
اي سبب لان اقتل صاحبي وان الجرعة على
كل حال لم تكن مصممة بالرغم من وجود
موسى الخلاقة في جيبى ساعة الجرعة دون
داع فقد اكون ابقيتها فيها . وقلت لهم
انني لو لم اكن مجنوناً لحاولت الحرب بدل ان

ابنى بجانب الجثة ساعات طويلة انتظر
حضور رجال التحقيق . ولا اعلم كيف اقتنع
القضاة بهذه البراهين الواهية فحكوا بدم
مسؤوليتي وهرساني الى مستشفى المجانين .

الواقع ان الجنون لم يخالط عقلي يوماً
من الايام ، والآن قد شفيت فينظر الاطباء
من مرض لم يكن الا في مخيلتهم رأيت
من واهي ان اقص عليك الحادثة كما وقعت .
فلم يكن السبب في الجرعة التي اقترعتها الا
ذلك الطلين المتواصل الذي كان يدوي في
اذني . كنت افقد حين يلصكي الطلين كل

ادراك لما يحيط بي ويبقى ذهني معلقاً
بفكرة واحدة تجذب جميع حواسي كأن
فها قوتهم مغناطيس . وكان ذلك يزولني اشد
الالم عندما اكون منفرداً فأتخذ بالصياح
بصوت حاد الى ان يغف الطلين شيئاً فشيئاً
ثم يتلاشى واتلاشى انا فيه في غيوبة قد
تدوم ساعات . وانا واثق كل الثقة ان قصة
صاحبي تلك كانت السبب الاول في خا
الطين الذي اصبح فيا بعد زمناً يعاودني
حيثاً بعد حين . ولذلك قررت قتله . وهذا
ما لم يدركه الاطباء . ولم يدركه القضاة ولم
تدركه انت . . . ولذلك وضعت موسى
الخلاقة في جيبى تلك الليلة . . . ولذلك
تظاهرت بالاضاء الى صاحبي حتى يتولد
الطين ويتألى . . . وتبعت في النشوة .

لست قادراً على قتل صاحبي فاني انسان
يتيسر له ان يموت كما مات هو دون ان يتعذب
ولو لحظة . . . ائت على حق فيا اقول ؟
بربك ائت على حق ؟ اقسم لك انه لم
يتالم . . . انسي أبغض الذين يتفكرون
بضيعتهم بعد ان يذوبوا . . . واحتقرهم
. . . واما الطلين فلا تحسب انني شفيت منه .
لا ! انني احس به منذ هنيهة . . . ها هو
يعلو ويعلو بشكل سريع . . . بشكل
لا يطاق . . . لقد هبت الدبابير في رأسي
من جديد . . . أليس عندك قصة تحكيها ؟
من غابات افريقيا مثلاً ؟ . . . ألم يعضك
في عنقك قرد من القردة ؟ . . . تكلم
. . . اني لا احب السكوت . . . تكلم ،
لا تخف ! ان في جيبى موسى قاطلة
كتلك التي تعرف . . . اقسم لك أنك
لن تتالم . . .

بربع قمر الربيع

الحميدة الاميركية الناشئة

فلاشمان

FLEISCHMANN

التي برهنت عن جودتها

لكل من جربها

تجسس انخبز لذيذا

طرياً ، شهياً ، ممتازاً

سريعة الفندك

سريعة الاستعمال

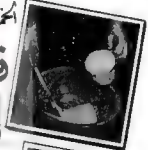
ضخيمة الثمن

جربها اليوم

الوكالة العامة لمرسيا وليبات

شركة بروكس المتوسط

لحارة انطون بك - بيروت



ذلك الطريق

خلق الشاعر للبؤس فغي
ينهل البسة من شقوته
قلق البؤس ، يقين للضيق
املاً يهزأ بالبؤس المرير

فاهزئي يا شمس من دوحني ومن
هذه الوضعة اسمي قبساً
منك يا شمس ومن دنيا السرور
انها اعظم من دنيا القبور
يتبدى الشاعر من اشراقه
كم ضريح مبصر ، قادالوري
فليذكر كالنظم تيار الاسى
واحطى كاسي في زهرته
لست اخشاك وهل يخشى القري
يصدم الاحداث في وتبته
وهذه الاشراق في قلبي الصغير
منك يا شمس ومن دنيا السرور
انها اعظم من دنيا القبور
في قلب الحري الضريح
وهدي للبصري التدريب الحطير
واسخري يا ارض الآمي وثوري
واهصري ودوحني بالقات زهوري
عاطر خلق في دنيا التسود
ويذل آلاء في وثب التصود

انما الشاعر في آلامه يوتقي في طفرة الروح الكبير

لأس البهرا لله

ألف الطريق خطاي تعلقه مع الامس القريب
وتهدأتك تهر الاشباح في الليل الجيب
واليوم ارجع كالقريب فيقودني كالقريب
ويظل يسلم هائناً مني ويسخر من شعوي
وغداً سياخذه الحياء لما سيحل من ذنوب
فلكم سيمه مشوقاً نحو بابك من حبيب
ترنو الصيون على مدهاء فتستقر على قلوب
حتى تذل له الذنوب فلا يتوب ... ولن تتوب

بنبراد اكرم الوهري

الم الشاعر

نضال

شاعر صبره انتحر
من اناة ومن حذر
وهو في موطن الخطر
فاض في نفسه الضجر
لا شعاع ولا شر
فاجللايد والحفر
يومه بعض ما جرد
لزم الصمت لم هدر
ما يستقضي به القدر
وطوى الجور ما انتظر
ليس من شأنه الحور
قوة تلهب الحور
لا يبالي اذا اشتجر
غضب الثورة استمر
ما له في المني وطر
لم يغور به اشر
ضاق بالصمت فانجبر
مل ما اعاده الحبي
اي شي يروعه
غاض في قلبه الرجا
فادهمت سماؤه
اين ما نقل الخطا
غده بعض يومه
سيلاتق مصيره
تحتدي بياسه
ان يسكرن خاب ما الرجي
فهو ذبالك التي
مستمد من الاسى
صار حتى مع الردى
شاعر في فواده
غير اسعاد قومه
خجعه بعض خيالهم

تله في صبره الصبر
روحى الشاعري الى البيت الزهر
فب المسكوم لم يفتح لود
عاني انداح في روح البشير
وارى الاماير في الوادي طيور
انا وهم ضل في الدنيا شعوري
تمهل الآهات من قلبي ومن
لم ازل قطر ندى في برعم
لم يذر الطار من اجفائه
فأرى كل صباح صبحي

لم ازل انشودة مخنوقة
اسأل المجهول عن امية
فأراها وضعة خلاية
تتاهى قسوة الدهر بها
في حروب، ذبلت فيها زهوري
لتشتي من ظلمات سوري
تتهادى بين طلي ولشور
كلما جدت ، لوها عن مسيري

انا في كنف زماني كره
امنياتي كنهها ومضى روى
انا احياه بفكري المنا
الم الشاعر ما يرسمه
الم الشاعر ما اعذبه
يوقظ الانفس من غفوتها
فاذا الدنيا على همته
لست احدي معه وجه مصيري
وشقائي كنهه وحى شعوري
سائح الدفعة، مكبوت ارفيد
فرحة تضحك في القلب الصبور
لما يوقص اطراف الدهور
بين آيات نظم وتب
دقة المنجر وينبوع السرور

ذلك الحبيب صورة
ان يشع من هومهم
كل فن اذا انزوى
بغداد

ان قاحت فما الاطراف
فهو بالئن قد كثر ا
مات في «الهرج» فاندثر
ابراهيم غوربغا

قصيدة الساطي

ايها الليل ترفق بهوانا
همة الساطي لم ترفق بنا
قم جني صف الشوق بنا
ها هو الزورق مستقل على
نحن في نغم المني انشودة
سكر الليل على انعامنا
اطرق الموج لالخان الصبا
والصبابات ترامت حولنا
آه يا فيثارة الفن اشهدي
قد همونا فوق معراج الهوى

نحن طيفان هبطنا من صفانا
ونسيم الصبر لم يحكم شذانا.
نترع الآفاق سحرًا وافتانا
ساعد الموجة يهنو للغانا
زقصر الكون على لحن صباننا
سكرة افضت له سر منانا.
ورمال الشط اصغت لحطانا
وبروس الانق ذابت ارجوانا.
كلما رنَّ على الافق صدانا
وتركنا الارض غرقى في هوانا
معتلى غجر رم

انشودة النواصي

هدأ الليل نديمي وانجلى هرج الرياح
واطل البدن نثراناً على اليد الفصاح
والوريدات اذامت في الفراخيس الفواح
وشدا الببلل مروراً على الايك وصاح :
اشرب الراح وعجل قبل ان يأتي الصباح

غمر الليل الروابي والقبالي والتخوم
والمصاييح تبنت مثلاً تبدو النجوم
ودوى صوت بشير الانس من بين التيوم :
ايها الانسان ان العيش حلم لا يدوم
فاشرب الراح وعجل قبل ان يأتي الصباح

اترع الكأس نديمي بالشراب المستطاب

(واسقي حتى تراني
قلو ان الشيخ قد ما
غوة عمر الاناسي
فاشرب الراح وعجل

دق ناقوس الندامي
قم لي الخانة - لطفاً -
خمرة صفراء اشهى
انهر منها طوال
فاشرب الراح وعجل

بغداد
صحن هائم الكفرى

الاسيرة

عنققتك في انجمال العذرا
فقد ابصرت في خديك لوناً
يلقت من التلون كل شأ
حاننا في عهد الجليل ليل
حسبك حرة اللغات حتى
عذرتك فاعذري قلباً رحيماً
فكم من « حلقة » للذل رمز

وديع مريب

اغنية بغداد

لين يا بغداد احلام الليالي التساهمة
يا ابنة الشرق ديا مهد الطيوف العابرة
رددت اصداءك الوسي اللحن الساحرة
وترامت من وواء الببب تنهو بالاماني الزاهرة
وسرت في الكون سكوى بشرع من خيال
ساحر الحقيقة عغوف بهالات الجلال
لم يزل يسكر بالفتنة عشاق الليالي
كلها لهلل صدايح وغنى بتسايج الجال

تساورنا الحيرة القاسية
وعضي السؤال ليأتي الصدى
وبين اختلاج الرؤى الدامية
نحسد احلامنا الواهية
فتصغر فئاسها بعد حين
لنضع آلمة ثانية !
فتصرخ داماً ستلقى غدا ؟
يسألنا مرة ثانية !
وصورة انفسنا لليقين ..
بأصنام آلمة من عجين
لنضع آلمة ثانية !

رشيد ياسين

بدراد

الم

آه من همي واخزاني وآلام الحياة
آه من جرحي وما اخفي وراء البسات
ويح لي من لوعة الذكرى وشؤم الذكريات
ويح لي من خافق حان له اسمي الصفات
ويح لي مما جناء البؤس في اركان ذاتي
ان من عيني يا لؤم الزرى خر الحناة
سوف ترهوي في السيق الجذب ابهى زهراتي

يا لشغلة الأرض هل حطت منى كجواني
انت متهتكين اذا حاولت ان تنذو اهلتي
مشرق كالسيف في ليل الاسى صلب قضائي
وغزائي انا لا اطلب في الدنيا عزائي
متب دائي ، ومن دائي في الدنيا دوائي

اضحكي يا ارض انت اليوم فوق النيرات
فيك ما يفري بتحطم البلى والمكرمات
غليان في دمي يا ارض هل ثارت اساني
ذبحوا الطير والقوه الى سبع الفلاة

ويح لي من طائر حلو وقيق النيرات
شارد هيان لا يدري بوقع الكارمات
سوف يوميه الذي يوعاه رمي الحشرات
آه من جرحي يكاد البؤس يبكي في حياتي

عزيزة هرون

الهوفية

ابن عري الشعر في ذوب الضياء الازرق
وذوخل الروح في تيه سماء المشرق
يتهادى الوحي في وهج سناها الشيق
فيننيه نجى الليل لآزهر الشذي المبق
في رياض عذبة الاسمار فيها الطر ذوخر
والندامي بين حقايق صرح وكؤوس تنور
والملاح البليض يحفظون على اصدااء لمن يتكبر
كل سكرى من لماها خرة الاقداح تسكر

ابن من افكك هاتيك القباب الخالصة ..
تسكب الفتنة في همس الظلال النافه
والقناديل ارتعاشات قلوب هائمه
ساهدت الطرف في صمت الدروب النافه
وصدى الدمار في دجلة خفاق الجناح
يتهادى بهم الزورق في تيه الرياح
هجرنا المجداف وانساوا بأجواء مراح
وطردوا الليل على رفة اضواء الصباح

ابن يا موئل نور الفكر عهد البديع
يا منار المجد للكون وهدي التائبين
حومت في افكك اليوم اخايل السين
فذرقت النعم في ذكراك مشبوب الحنين
لمني يا جنابات الكرخ تلك الذكريات
ايا في افكر المصور اطياف هلاكة
هات ما شئت فاتي ملهب الاشواق هات
يا بقايا نعم مات بقماس الحداثة

كاسم السراوي

بدراد

الحد والجزر

هذه الى الشاعر ايليا ابي ماضي

على هذه الكرة الطافية
نحركنا قوة خافيه
وغضى مع الجزر حتى نعود
وفي هذه السبل الداجيه
يسمر الزمان الدميم الحدود
فنهجم سداً لتبني سدود
مع المد في صورة تاتيه ا
نجد بلا غاية او هدى

مكتبة الاديب



مرآة الضمير المحرّب

للدكتور طه حسين - ١٦٠ صفحة - دار العلم للملايين - بيروت

يستطيع العرب ان يطاولوا بالدكتور طه حسين اديب العرب الاميين ، فهو الرجل الذي اجتمعت فيه صفات الاديب الحق من ثقافة واسعة وشخصية فذة وتفكير عميق وذهن متوقد وشعور مرهف وخلق كريم وحرّة في الرأي والتعبير . وهو اديب العربي المعاصر دون منازع ، بعث بعثاً جديداً ، ونفع فيه روح الحرية والصدق والابداع ، فأن ادب محمد يستطيع ان ينكر اثر طه حسين في ادبه وفي حياته جميعاً ، وما من مفكر منور يستطيع ان ينكر انه استنار بالشمس الهادي الذي رضمه طه حسين وجاهد في سبيله عشرات السنين .

ولا ريب في ان طه حسين لم يبلغ هذه الكفاية في قلبه الاجيال العربية المتابعة لروعة فنه وطرافة تفكيره وجمال أسلوبه وحسب ، ولما بلغنا لان فنه وتفكيره واسلوبه تقوم على اساس وعيد من الحرية والاصالة والصدق والتقدم والمطرد والتجديد المستمر وتصدر من نفس نبيلة تمتاز بصلاية الخلق ونقاء الضمير ولا تداخلها شائبة من شوائب التدييل والتبرج . وهذا الاساس الذي يقوم عليه ادب طه حسين ، وهذا المصدر الكرم الذي ينبع منه ، هما السري بقاء طه حسين على القمة بينا المنحد الى الحضيض اكثر الادباء الكبار الذين رافقوه في نشأته الاولى ، وهما السري في الخلق القراء على ادب طه حسين يقرأونه ويقرّبونه وينشرون اليه هوما السري في انهم اسم طه حسين قد تحول لدى احرار العرب الى رمز رفيع .

يؤلف ادب الدكتور طه حسين في مجموعه صورة للصر الذي عاش فيه ولبينة التي احاطت به ، بما في هذا الصبر من قلق وتطلع الى الاستقرار ، وبما في هذه البينة من قيود ورفية في الاتعاق ، تنمكس كلها في نفسه الملهة وتتغافل معها ، ويجري بها قلعه اليبغ صرّاً رائحة تجميع بين المنة الفنية والترويح الحكيم . وفي كتابه الاخير « مرآة الضمير الحديث » الذي اصدرته دار العلم للملايين

مند ايلم ، فصول شاقّة من هذا الادب الصادق الحي ، اوجها الفكر النيد وجلاها البيان الاتيق .

اصداق جعت بينهم مطامح الشباب ، في بينة لئسر فيها صوره منكرو ، فتعاهدوا على الكفاح في سبيل العلم والحق والخير ، وعاشوا رداً من الزمن اخواناً أوفياء ، ينظرون الى المستقبل في ثقة بالنفس واثان بالاصلاح وشغف بالمثل العليا . ثم فرقت الايام بينهم ، فصار كل منهم في السبيل الذي يتلام مع سجيته وطبقته ومذهبه في الحياة . فهم من عرضت لهم المقائ ونصبت امامهم الميراث فاندسوا وراها متشكرين لكل ما يقصهم عنها من رأي ومن يحول بينهم وبينها من صديق ومنهم من مسخروا جرداً او حيوانات اخرى ليست احسن حالا من الجرذان تقصت نفوسها اجسامهم ، ومنهم من بقي ايمياً على مبادئه وفيّاً لاصداقائه ، فاذا باخولفنا يغضون عنه منذ دار به الزمان ونأى عنه السلطان ونظروا فلم يجدوا صند منقذ ولا مآرباً .

لقد علم هذا الصديق الرقي ان المرء خليق ان يختار بين اثنتين « فاما ان يتخلى ما نكّر عليه من خلق ، وما فطر عليه من مزاج ، فيستع على التواقة ، ويقاوم الائم ، ويصون نفسه من ان يكون سلة تعرض للبيع والثراء ، ويعلم اخلاقه من ان يكون في المساومة من ارتفاع الاثان وهبوطها ، واذا فليس ما يجب عليه اذا اختار هذه الحصلة ، ان يرضى بالقليل ، ويقنع باليسير ، ويروض نفسه على عذر الصديق وخيانة الاخوان ، وتحول الرفاق وتنكر الحلان . يلقى ذلك پاساً له وساخراً منه ان كان من اولي الغرائم الماضية والحسم العالية ، ويلقى ذلك شقياً به محزوناً له ، ولكنه يحتمل على كل حال ، ان كان من الصادقين الذين لم ترتفع نفوسهم الى منازل التابئين والافذاذ . واما ان يدور مع الزمن ويساير الحياة ، ويختطف المنة حين تساق اليه ويعرض نفسه للبيع فيبيعها بالثن العالي ان اتبع له وبالثن الرخيص ان لم يجد بداً من قبول الثمن الرخيص » .

وقد اختار الحصلة الاولى فلقى في ذلك كثيراً من الاذى ، وصبر على كثير من المكروه ، ورأى اصداقاً من حوله يتبدون عنه واحداً بعد آخر حتى وطن نفسه على قد الصديق ، الصديق الذي لم يختطفه الموت وثاقا اختطفته المنة .

هذي هي القصة التي يرويها لنا الدكتور طه حسين في كتابه

الجديد . وهي قصة رائعة حقا ، ليست من ذلك النوع الذي اعتدنا قراءته في الأيام الأخيرة . هي قصة المجتمع المصري ، والمجتمع العربي ، بل كل مجتمع حديث في كل قطر كسيطر فيه المادة على حياة الإنسان سيطرة عياء ، قشوره من تفكيره وخلقه وتحمل منه آلة مسخرة تعمل في نظام جائر سعادة المرء في ظلاله مشتقة من شقاء الآخرين .

ذلك ان الاشخاص الذين تحدث الدكتور طه حسين عنهم او تحدث اليهم ، سواء أمكروا اناساً من لحم ودم او من ابداع مخيلته الولود ، فانهم يمسكون اشخاصاً نعرضهم في مجتمعاتهم العربي ويتلون فئات معينة فيه ، وقد نوه الدكتور بذلك اذا قل خاطباً احدهم بعد ان تسأل لماذا يكتب اليه كتابه وقد انتقلت الاسباب بينها : « لسبب يسير جداً وهو ان امثالك في الناس كثيرين بل اكثر جداً مما تظن ، فليس هذا الكتاب الا مرآة لمن تكون انت الشخص الوحيد الذي يرى نفسه فيها » .

فهناك اصحاب السلطان الذين يحذروهم من ان تقع لهم في نفوس الناس مهامة تقوم على الخوف والبغض ولا تقوم على المحبة والتجعة ، لان ذلك شر ما يتعرضون له « فالحب لا يتأهل بالقسوة ، والنصح لا يكتب بالظلم ، وليست اشاعة الثقة وسيلة الى اكتساب الولد ولا الى اصطفاء النفوس » وهو يقول لصديقه منهم وقد علم انه امر الا يذكره الادباء فجاء بكبرون وينظنون الا بالحير : « وانت بعد ذلك لا تستطيع ان تنقل الالكسة المطلقة ولا ان تحطم الاقلام المشرعة ولا ان تمسح القلوب من الشعور والعتول من التفكير ، فدع الناس وما يشاؤون ان يقولوا فيك من الخير والشر ، ومن الحمد والذم ، وانتع بذلك كله في اصلاح نفسك وفي تجنب ما يشينك الى ما يزينك » الى ان يقول : « هلست بخير من هو وقد قال للناس : من رأى منكم في اعوجاجاً فليقوم ! فقال له قائلهم : لو رأينا فيك اعوجاجاً فليقمنا بسيوفنا . وقد لام اللاعنون عثان ، قبل النوم ، واعتذروا من الخطأ ، وتب الى الله من السيئات . فانت بخير من هو ، واما انت بخير من عثان ، واما انت بخير من رسول الله وقد رضي ان يتكف من نفسه » .

وهناك الوشاة الذين يظنون من صاحب السلطان « ان يحصم بصفو نفسه وصدق وده وشامل معروفه ، ولا يعطونه من انفسهم الا الكدر والزق ، ولا يمنونه من ودم الا التكلف والرياء ، ولا يهدون اليه من معروفهم الا تربص الدوائر بموانع انتهاز القرض فيه ، وانتظار اليوم الذي يتحولون فيه عنه الى من ينافسه

ويناوله . فهم يعرضون قلوبهم وثغوسهم وعقولهم وخفاياهم للبيع ويقبلون ما يعرض عليهم لها من شئ . فاي الناس ارضاهم ما لاولا اليه ، واي الناس قصر في ارضائهم اغرؤوا عنه وتأثروا عليه . ثم هم بعد ذلك لا يحفظون وداً ، ولا يعرفون حرمة ، ولا يذكرون جيلاً ، وهو يصغهم ابرع وصف ويجذر صاحبه منهم جذراً شديداً فيقول له فيا يقول : « ومن حقتك على نفسك ، ومن حق الناس عليك ؟ ان تتهنم الذين يسعون اليك ، ويعطونوك بك . فان اتهام فريق من الناس والتبث قبل الاستجابة الى ما يدعونك اليه ، خير لك واسلم عاقبة من ظلم العربي ، والاساءة الى المحسن ، والاحسان الى المسي ، والتجاوز عن الجرم . وقد امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ، ان يشبوا ان جاءهم فاسق بنبأ ، مخافة ان يصيبوا قوماً بجهالة فيصبوا على ما فعلوا نادين » .

وهناك المراءون الذين يظهرون غير ما يظنون ، فهو يقرهم تقريباً شديداً ، ويقول لهم : « ليس يجمل بكرام الناس ان يجروا كلمة « لا » اذا خلوا الى انفسهم ، وان يقولوا « نعم » اذا لقوا اصحاب الجاه والسلطان . وليس يجمل بكرام الناس ان يتعدوا حديث الاحرار ويسيروا سيرة العبيد . وليس يجمل بكرام الناس ان يتأخروا الى هذا الحد بين ما يعتقدون في دخائل نفوسهم واعماق خفاياهم ، وما يظهرون من سيرتهم حين يعامشرون امثالهم من الناس » .

وهناك المسوخ الذين تقصبت اجسادهم انواع الحيوان ، فهذا رجل وثب الى ارقى مما يطيق « فاصبح اشبه بالديك الذي يوضع موضع السر ويزاد على ان يحلق في اشد الاجراء ارتفاعاً ، وليس هو من هذا التعطيق في شيء ، وانما قصارده شرف متواضع ، يرقى اليه ليستقبل الصباح بالصبح ، ولينفش ريشه كلما اتى له ان يغشاه » وهذا ثان « نثرت الحياة امامه اشواكاً فاشفق منها ، ونثرت امامه اهازيراً فتهالك عليها . شررت امامه الهول فضاغ ، ونصبت امامه الغريات فاندفع . وما هي الا ان تصور نفسه بهذه الصورة المرنة اللينة ، التي لا تثبت لشيء . ولا تمنع على شيء ، وانما هي تجزع لبناء السيرة وتستجيب لايسر الغريات ، تفر عند النزاع ، وتقبل عند الطمع ، والقرىب انها على ذلك كله ترى في نفسها الخير ، وتزمن لنفسها بالحكمة ومضاء الغرم . قيل لها ذلك فصدته واطأنت اليه ، ولم تنس الا شيئاً واحداً ، وهو انها تبعت احداث الحياة ، وتأثرت بها ، في غير مقاومة ، حتى اصبحت اشبه شيء بالكلب ، ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث » وهذا آخر

كلن اصحابه يتوهمون فيه البرادة والسذاجة وسلامة القلب ، ثم كشفت لهم الايام عنه ، فزفروا انه « لم يكن الا كسياً من هذا الزمل السهل المين ، الذي تنوص فيه الاقدام ، ويبتس به ايسر التسم ، وان في هذا الكتيب المليل ، حجة تبدأ قنصن الهدوء ما جهنا الليل ، ثم تسمى قنصن السعي ما اضاءت لها الشمس ، وهي في اثناء سعيها وهدوئها موقوفة السم حديدية الثاب ، تأزم قنصن الازم ، ولا يدنو منها احد الا اصابه من مينا حطممور » على ان هؤلاء ، « لم يتفردوا بما كتب عليهم من اللسخ ، ولما هي محنة عامة يتحن الله بها هذا الوطن البائس في كثير من بنيه » .

وهناك اصحاب النعم واصحاب الجمع . فاما اصحاب الجمع فهم صنف واحد من الناس يشقى ليسد الآخرين بدم قلبه وعرق جبينه . هم المايعون الضائون بالبايسون اليايسون والمأزومون المحرومون ، الذين لا يحفل بهم احد ولا يحفلون بأنفسهم . ولما عرفت الدنيا وعرفوا معها انهم قد ارسلوا الى الارض ، ليتجروا

فيها الشقاء غصصاً ، وليصادقوا فيها الآلام منذ يقاوبن على الحياة الى ان يخرجوا منها . . . واما اصحاب النعم فهم اشبات الوان ، وفي هذا الكتاب منهم فاذبح عدلو ان الاستاذ السيد قد ابدعها من حجر لكانت حرة بان توضع في اعظم المتاحف . ففهم صاحب القلب المغفل « الذي لا ينفذ اليه شعور بالثامن او حاجة الى التعاون ، والذي لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا وفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء » لقد حصن نفسه بهذا القلب الصخري الذي لا تصل فيه الماول ، ووضع عليه قللاً ذهبياً مرصعاً ليلال التلوب الاخرى التي لم تصور من صفر ولما صورت من علم ودم ، حزناً وبأساً وحقداً وحسداً ، وراح ينظر الى هذه التلوب المحترقة المنزقة في كثير من الكبرياء والازدراء ، قائلاً لنفسه : « لقد صرف عني هذا الشر وغدلت عني بهذا البؤس ، واريد ان احيا هذه الحياة الملوثة التي تشقت حلاوتها بما يحيط بها من مرارة ، اللينة التي يستفلس ليها ما يحيط بها من شدة ، الناعمة التي يستصفي نعيمها ما يحيط بها من البأس » .

وممنهم ذلك المصري الذي يقم في فرنسا حراً طليعاً وموفقاً سميداً « يأتيه المال كثيراً موفوراً من مصر ، ويأتيه النعم كثيراً موفوراً من فرنسا ، لانه يقدر بلال المصري الذي لا يجده اكثر المصريين ، على ان يحصل من النعم الفرنسي ما لا يجده اكثر الفرنسيين . فهو ناعم على رغم المصريين والفرنسيين جميعاً ، يستخرج له المال المصري من شقاء مواطنيه ، ويستخرج له النعم الفرنسي من

شقاء مضيعيه . وهو مع ذلك ساخط على أولئك هؤلاء ، لا يرضى عما يجري هنا ، ولا يطنن الى ما يجري هناك . ينكر المصريين لانهم لم يلقوا من رقيهم المادي والعقلي ما بلغ الفرنسيون . ولاتهم لا يستطيعون ان يوفروا لعن وسائل الترف والدعة والامن ما يوفره له الفرنسيون . وهو من اجل ذلك يجرهم هجر ياجر من ارضهم ، ويكسفي منهم بأن يزوع الزارع ويصنع الصانع ، ويجرح الجائع ويبتس المبس ويسقي الشقي ، لتجسع له الوف من الجنيات تنبعا الوف وتلوح له هذه المقادير الضخمة من المال ينفعا فيا يجيبن وسائل الترف ، ومواطنوه في شظف من وسائل الراحة والنعم ، ومواطنوه في عناء وشقاء . وينكر الفرنسيين لانهم لا يجتضون للسلطان كما يجتضع له مواطنوه ، ولا يستكينون للقوة كما تعود ان يرى الناس يستكينون لها من حوله في مصر ، ولا يبدون عيول الذهب كما تعود ان يرى الناس يبدون عيولاً ذهبية كثيرة على ضفاف النيل » .

وممنهم أولئك الذين ادرتهم الولاء وهم في مصر ، فأحال نعيمهم جيباً ، واذاهم « مولود مفرقون قد دخل الروح عليهم دورهم وقصورهم » قللاً ذعراً ورعباً ، ثم اقتحم عليهم قلوبهم وضارهم قللاً جزعاً وهماً واشفاقاً . . . فهم لا يفكرون في المال ولا في الترف اذا استيقظوا ، ولا يحلمون بلال ولا بالتوف اذا قاموا ولما يفكرون في الولاء ايقاناً ، ويحلمون بالولاء نيماً . كل مهم ان يفتوا من الولاء وما وجدوا الى الافلات منه سبيلاً . فهم من هذا الحوف المتصل الملح في جميع ، وهم في جميع آخر لعسله ان يكون شراً من جميع الحوف ، هم يجدون في ضارهم ، بل في اعمق الاعاق من ضارهم ، حشرة ضئيلة ولكنها ملعة ممضة ، مصدرها اصوات يأتيهم بها الجو من كل مكان ، حتى تأخذهم من جميع القطارهم ، وحتى لا تصل الى نفوسهم من الأذان التي تصل منها الاصوات الى النفوس فصب ، ولما تصل الى نفوسهم من كل طريق . . . تصل الى نفوسهم من طريق العيون والانوف وسائر الحواس . وكل هذه الاصوات تنبهم بانهم يعيشون في جو من الحسد والبغض والحقد والحفيظة والمريجة ، لا يتفكرون دهرماً ولا ديناراً الا احصاه عليهم من حولهم من الناس ، ولا يستنصرون بقة من اللذات الاسهلها عليهم من حولهم من الناس ، ولا يطعمون طعاماً ولا يشربون شرباً ولا يتخذون ثوباً الا اتى الناس من حولهم لو اتبع لها ان يشاركوهم في بعض ما يطعمون ويشربون ويلبسون » .

وهناك غيرهم كثيرين . . .

وقد وضع الدكتور فصول الكتاب في رسائل قال بانها وقعت له ولم يعرف كتابها ولا من كتبت اليه ، وكتب الرسائل الاربع الاولى يسلوب الجاحظ فوق توقيتاً كبيراً ، على اني قد وجدت في الرسائل الاخرى ، تلك التي اطلق فيها المبدأ نفسه على سميتها وكتبها بأسلوبه الصافي المضي . السيل ، من لئمة والحياة والقوة فوق مسا وجدته في تلك . وفي اعتقادي ان ذلك امر بدبي لا يحتاج الى جلاء .

واريد ان اقف قليلا عند اسم الكتاب ، قال الدكتور مالمحين قد جاء : « مرآة الضيق الحديث » يريد بذلك ان يفصله بانكتشف عنه من عيوب ونقائص انما تعكس صورة الضيق الحديث . ولست اوافق الدكتور على هذا ، لاني لا اعتقد بان هؤلاء الاشخاص الذين صوهم لنا بلا اخلاق ولا فاضلهم الذين يثرون الضيق الحديث . ان هذه العيوب والنقائص قديمة جداً ، والضيق الحديث الذي استيقظ وتقرده وهتف هتاف الحرية ، هو الذي رآها وكشف عنها وردعا الى اسبابها الاجتماعية التي تزول بزوالها . وهذا الضيق اليقظ الحلي انما تجلته النواحي الاجتماعية في الكتاب بمضامينها الرائعة التي تغذي ذهن المتطلع وتهدى الجهد الضال .

واول صفات الضيق الحديث التمازج والاندماج ، المستحيل والنظر الى العيوب والنقائص والمظالم التي عاينها الدكتور ، على انها زائلة حتماً بتطور المجتمع وتقدم الانسان ، وهي صفات بارزة في هذا الكتاب . فله حين يعتقد وينوه بان « الزمان لا يثبت » ، وانما هو متطوّل دائماً ، وان الايام لا تستقر ، وانما هو نهار يتبعه نهار ، والاحداث في اثنا . ذلك تحدث ، والخطوب في اثنا . ذلك تلم ، والنوايب في اثنا . ذلك تنوب ، والوزراء يولون ويغزلون ، والحكام ينصبون ويتصرفون ، والدنيا تقبل وتقدر ، والحوادث تحلوق وتقر ، والرجل اللبيب من اعتبر بهذا كله فلم يسرف على نفسه ، ولم يسرف على الناس ، ولم يقدم بين يديه من الصل ما يسوء في الدنيا ويخزيه في الآخرة .

وهو يرى : « ان ضيائر الايام تحفظ للناس من اسرار اليب ما يجربون وما يكبرون ، وتندخر لهم من الاحداث ما يعرفون وما ينكرون . فن اتيت له القوة قد يقدر له الضيف ، ومن ممكن له في الارض قد تنوب به الدار ، ومن ابتست له الايام قد يجس له الدهر . النسة ودبية في ايدي اصحابها قد يطلبها من استودعهم اياها ، والقوة عارية في ايدي الاقوياء ، قد تؤخذ منهم لردد على الضعفاء . ولقد نقلت لك منذ قليل شيئاً من حديث القلب المغلق الذي

وضع عليه صاحبه قفلاً ذهبياً مرصاً لئلا القلب المحترقة المزقة حزناً وبأساً وحقدًا وحسدًا ، فانظر الآن كيف يجاخط الاستاذ السيد صاحب هذا القلب فيقول له : « انك ترى في الارض انهاراً تجري ويتابع تقيض ، وانك تستغل هذه الانهار الجارية وهذه الينابيع المتدفقة تسمن في لذاتك وتزيد الى شرائك شراء ، فهل علت كيف تعجرت هذه الينابيع ؟ وهل علت كيف انشقت الارض عن هذه الينابيع ؟ وهل علت ان قلبك ، مما يمكن حظه من الصلابة والصلادة ومن الاصمات والقسوة ، لن يستطيع مقاومة الاحداث ، ولا ان يثبت للخطوب ، ولا ان يحتفظ بهذا القلب الذهبي المرصع الذي علقته لك الايام عليه ؟ ان الحوادث والخطوب تعبت بالقلب مما تكن قسرتها ومما تكن القاطما . وان ساعة من الدهر تأتي على هذه القلب الصلبة الصلدة المصتة فتذيبها او تحلها بها . تذروه الرياح . انظر ، قد كانت قلبك قلوب صلبة صلبة مثقلة قد احتبست من الوان الالفة والاثم ، ومن ضروب الطمع والجشع ، ومن خصال الاثرة والبخل : ما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتت عليها هذه الساعة من ساعات الدهر فذهبت بها وبصاحبها . وهذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذهابة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون . »

ومن صفات الضيق الحديث انه يقف في معترك النضال موقف الصلابة والثبات ، وانه يسير مع تيار الحياة المتطورة ، وانه لا يتراجع امام المصائب والفتنات بل يذهبها ويظهر عليها ، وكذلك يقول الدكتور طه حسين : « ان هذه الازمات التي تلح على الناس منذ اول هذا القرن تلقي عليهم دوساً فيها الحوف وفيها الاغراء ، فيها اليأس وفيها الرجاء ، فيها انتهاز القصر وفيها الثبات على الحلق الكريم » .

ويقول : « ان الفرد لم يخلق لنفسه وانما خلق لمواطينه » ، وان الامة لم تخلق لنفسها وانما خلقت للانسانية ، وان الحياة قصيدة فيجب ان تنتهر لتحقيق النفع وتعمم الخير وترقية الحضارة وازرار العدل . ذلك امرى ان يد قصيرها ويصل منقطعها ، ويجعل زائلها خالداً ولطيفها حقاً ، والمتنضي منها متصلاً .

ويقول ايضاً : « ولكن طريق الحياة لا تستقيم الا لادلي العزم من الناس ، أو قل انما لا تستقيم لاحد وانما يكبرها اولو العزم من الناس على ان تستقيم ، يقتضون ما يقوم فيها من العقاب ، ويرتفعون عما يعترض فيها من دواعي الهمة والفتنة والفساد » .

ومن صفات الضيق الحديث أخيراً ، بل اولاً ، الشغف العميق

ليعيش .. فحرم الشاب من البؤس والجوع وهم التفكير ، فبا
يقيم الأول ، وحرمهم من الجهل ، وأتق لهم علماً وأدياً وثقافة ،
ويسر لهم بعد ذلك ان يعيشوا في جو سمح غير متحرج ولا مقومت ،
وخل بينهم وبين الدنيا وما فيها ما يسر وما يسوء ، بما يحسن وما
يقتح ، بما يند وما يؤلم . وثق بأنهم سيمسكون ويشعرون ، وثق
بأنهم سيعوضون ويستخلصون ، وثق بأنهم سيعلمون ويبتسبون ، وثق
بأنهم سيتقبلون هذا كله بأنفسهم لا من طريق غيرهم ، وثق بأنهم
ان استقبلوا الحياة ولذاتها وآلامها وخطوبها واحداثها ، فسيصورون
ما يستقبلون من ذلك وسيجرون به وسيؤثرون فيه ، وسيكون كل
واحد منهم انساناً حراً عاملاً . وحيثما وجد الانسان اطر العامل يوجد
الدوق الفتي ووجدت آثار الدوق الفتي في الاستماع والامتناع جميعاً .
ذلك هو صوت الضعير الحديث بل ذلك هو هتاف الضعير
الحديث .

بل تلك هي صرخة الضعير الحديث ، يوسلها الدكتور طه
حين غاية مدوة وراثته عربية ، والدكتور طه حين يجفقه
وادبه خير من يجد عن هذا الضعير اليتيم في مصر وغير من
يتمتله في البلاد العربية كلها .

فردني فلمي

الأصمعي شئ

بجموعة قصص للدكتور صلاح الدين الناهي - مطبعة - مطبعة الرشيد - بغداد
اذكر انني عندما تحدثت الى الاستاذ ميخائيل نعيمة ، في
مطلع هذا العام ، عن أدب القصة في البلاد العربية - لمست عنده
اصحاباً واضعاً بالقصة العراقية ، ورايت كبير الامل بما قد يقدمه
العراق للادب العربي في هذه الناحية ، وكثرت يومئذ شيئاً من هذا
الحديث في صحيفة « كل شي » البيروتية .

ولما اصدرت اسرة « الاديب » حكايتها في « مباراة القصة »
التي اقامتها في العام المنصرم ، كانتمة إجماع لدى اللجنة المحسكة
على منع الجائزة لصاحب قصة « فطومة » الذي تبين فيما بعد انه
الاستاذ عبد الملك نوري ، وهو عراقي .

اخذت ، على اثر هذين الحادثين ، انجوى صفى العراق
الادبية ، وانقب عن « القصص » التي تنشرها ، فاذا في اقع عند
كتاب العراق وادبائه على ميل يكاد يكون نظرياً للقصة وكتاباتها ،
ثم تتضح لي القضايا شيئاً فشيئاً من خلال احاديث جرت لي مع
الاستاذ احمد الصافي الشاعر وغيره ممن هم على صلة وثيقة بالعراق

بالحرية ، والاثبات بأنها الشرط الأول لكل رقي فردي او قومي
اجتماعي ، سواء في ذلك الحرية الادبية او الحرية الاقتصادية ، بل
ربما جاءت الحرية الاقتصادية في المقام الأول لان الناس يحصلون
معاشهم أولاً ثم يفكرون ويحلمون ، وان افكارهم واحلامهم
تتأثر الى حد كبير بما يلاصق بتحصيل معاشهم من نضال عنيف او
هادئ ، ومن استغلال لعلمهم او انصاف لهم فيه . والدكتور طه
حسين يذهب هذا المذهب في غير مكان من هذا الكتاب ، وفي
الفصل الذي دعاه « صوائع الانباء » دفاع رائع عن حرية الفكر
وحرية العلم يذكر كبحضرية الجاحظ وتهكمه اللاذع المركا
تذكر كالفصول الاربعة الأولى من الكتاب بأسلوبه الغمغمة وبيانه
الجلول . وفي الفصل الذي سماه « الحرية أولاً » وضع الاشياء ، والقيم
حيث يجب ان توضع ، فقرر ان تنشئة الذوق الفسفي في نفوس
الشباب لا بد ان تسبق الحرية التي هي روح الفن وقوام الذوق ،
واشار الى القيود التي تحول دون الشباب والذوق الرفيع ، وقال :
« حرم الشباب قبل كل شي » ، ولو تحريراً موقوتاً من هذه القيود
كلها أو بعضها . دعهم يفكرون كما يريدون . وارشدكم بالقودة
الصالحة والاسوة الحسنة والصبح الرفيق . وثق بذلك ان فعلت

اعدت نفوسهم للذوق الرفيع احسن اعداد وأقومه » ثم قال :
« وليس كل الناس ميسراً للفن ، وليس كل الناس قادراً على التفوق
والابتكار . وأول ما يجب لذلك ان يتساح للشباب ، وللشباب
خاصة ، ما ينبغي لهم من الحرية التي تتفتح قلوبهم وعقولهم وتخالجهم
لكل ما في الحياة من خير وشر ، ولكل ما في الحياة من حسن
وقبح ، ولكل ما في الحياة من حب وبغض ، ليقبلوا عن اختيار
لا عن اضطرار ، وليحبوا ويبغضوا عن رضا لا عن اكراه . فاذا لم
تتح لهم هذه الحرية فلا يتفتح منهم خير ، ولا ترج منهم نفعاً ،
ولا تنتظر لهم تفوق ولا ابتكار ، ولما انظر اليهم كما تنظر الى
الرفيق المسخرين ، والى الحيوان الذي تدفق غرائزه . ويحد من حريته
سلطان المستأمنين له المتنعين به ، فيا يحاولون من المأرب والاغراض »
ثم قال « ولكن اي شي . اصبر من ان تجعل الشباب احراراً .
ان التقاليد الموروثة ، والتقاليد المستحثة ، وسلطان الحكومة ،
وسلطان الجماعة ، وظروف الحياة كلها في هذا الوطن البائس ، تأبى
على الشباب ان يكونوا احراراً » ثم قال : « ثم لا تنس انك لن
تفتح الحرية للشباب حين تضع عنهم اصهرهم والاعلال التي تثقلهم
من التقاليد والظروف ، فقد ينبغي ان يعيش الانسان قبل ان
يكون حراً ، وقد ينبغي ان يعصم الانسان من الحرمان

واهلكه، فلم يبق لدي ادنى شك في ان تربة العراق اخصب تربة عربية
يمكن ان ينبت فيها القصص الحي الرائع ، ويعطي انثراً ياتمة .
هذه ظاهرة قبيحة . لها دلالات متعددة لا دالة واحدة : اولها
ان المجتمع العراقي اتخذ بأسباب التطور في اتجاه عصري صرف ،
بمعنى ان آماله وامانيه ومطامحه تنطلق اليوم نحو بنا . اجتماعي جديد ،
يحكم الاسس ، متحرر التزعة ، منظم الفكر ، يوتاد القوة والنظام .
وثانيها ان الادب العربي تحل من قيوده الشيقة وراح يلمس الحياة
في آفاق غير آفاق الغزل والتشبيب والفخر والحاسة والزنا . وتدبج
الرسائل ، وتحبب المقالات ، فما دام العراق الذي اعطى الادب
العربي لقن كثره في النظم والنثر قدماً - اعني الجاحظ والمتنبي
ومن لبق لها - قد انبث نحو التجديد الفكري ، فهذا يعني
ان الاستاذ نسيمة شارف المستقل بصير جديد ، خرق به حجب
الغيب حين ابدى من انتباه وتفاضل .. بمقتبل الادب العربي ،
عن طريق العراق .

وليس هذا كل شيء .. لقد كانت نبضتنا الفكرية في العهد
الاخير مضطربة مضطعة ، لان مصر تولت قيادتها ، ثم لان مصر
اضفت من ان تقود نهضة فكرية ، فهي ، في اطار تحريرها الروحي
وانبساطها المادي تمكنت من جمع اسباب الثقافة : وبناء الجامعات ،
وتحرير الشادات ، وتأليف الكتب التاريخية والدراسات النقدية ،
والانجازات العلمية ، ولكنها « عجزت » عن تشييد النورس المتسودة ،
وتوحيد العقول المبعثرة ، وضم الاشأت المتناثرة ، وبث الارواح
المخلقة ، واذا بليل العربي الحديث الذي يتغذى اكثر ما يتغذى
على صف مصر وكتبها وينمو اكثر ما ينمو نحوها في السياسة
والاجتماع - يصاب بالكوارث والناويع وينتهي الى الانقسام
والتناخل ..

اقول : لو كان العراق هو الذي يتقدم الثقافة العربية في
مضار الفكر والثقافة ، لكانت حالة البلاد العربية خيراً مما هي
عليه الآن . في الجانب الروحي على الاقل .
ولست بحاجة الى التذليل على ذلك .. وانما هي فكرة
اصبحت اعتد بها وأراها ترداد في نقبي اتضاحاً ورسوخاً كلما
اطلعت على اثر ادبي جديد لعراقي جديد .

وأخر هذه الآثار مجموعة قصصية كتبها الدكتور صلاح الدين
الناهي « في ازمته شتي ، وامسكنه شتي » وظروف نفسية وعقلية
شتي « وجلبها تدور حول موضوعات اجتماعية تمس حياتنا العامة ،
وتصور اوضاعنا الثقافية ، وتصف ما يرسب في افوار مجتمعاتنا

الراهنه من تنفس في الاخلاق ، وسخط في العقول ، واضطراب في
تناول الحياة الحديثة والافادة من معطياتها .

لن نتحدث عن « الفن القصصي » في هذه المجوعة لانها لم
تتسكل عناصره ، ولا استوفت اسبابه ، ولا بلغت منه حضيضاً
ولا لاقه ، فهي الى ادب المقالة اقرب ، غير ان اطلاق اسم « المقالة »
عليها يعني . ايضاً الى مساهلة . فهي شيء غير القصة ، وغير المقالة ،
بل تقع في مركز متوسط بين النوعين ، ويختلف توسلها هذا
باختلاف كل واحدة منها عن رفيقتها ، ففيها ما هو اقرب الى المقالة ،
وفيها ما هو اقرب الى القصة .

تضم المجوعة اربع عشرة اقصوصة ، فيها خمس قصص ، والباقي
مقالات قصصية . اما القصص الخمس فهي : « يمحور الصحن » ،
القصص المجهول ، جناية السائحين ، قصة الحب ، البقلعوية .
المهم ليس هنا . المهم هو انك اذا تأخذ في مطالعة هذه المجوعة
تسهر ان الكاتب متقن واسع الثقافة ، بيد انه لا ينظر لتقافته
شيء من الجدة ، لان الحياة يجلبها لاستهويه بما فيها من جد ،
بل تحس انه سائح ، سائح ، ولا يجد الا في سفرته ، فكأن
الدنيا لا تسرع في انتباهه الى حين تقدم له ما يضحك منه او يهزأ .
تجد ايضاً قصص جميعهم من فئة القرويين ، والحائزين ، والثقلان
والثانين ، والبرودات والحائزات الخ ..

والغريب في ذلك كله انه وهو يروي لك حادثة ، او يعرض
سيرة شخص ، يقدم لك زاداً فكرياً ، هو عرض تقصير ، فتأخذه
دون ان تسهر بشيء . من الضيق ، مما كنت قليل الشافية ، ضعيف
المعدة ، لانه لا يسه ان ترضى عنه ، وسواء لديه اسرك ما يقول
ام سخطك ، فلا يلبث ان يستخف بك الطرب لجر دانه مستخف بك .

تأمل حديث عن صديق مصري دعاه الى حفلة اقامها بمناسبة
عيد مولده السيد قال : « الواقع ان علاقتي بالداعي الكريم لم
تسكن تريد على التمية العارضة في الصباح او المساء حين كنا
نلتقي في مدرج كلية حقوق بالبلدية ، او في مريض في حديقة
« الاورمان » . كنا نمر به ذهاباً الى الكلية ، او اياباً منها الى
منازلنا في « الدقي » ومع ذلك فان هذه الدعوة كانت تناسب
ظروف الداعي والمدمر : فالداعي زميل مصري يسه توثيق روابط
الصدقة مع « اخوانا الشرقيين » - كما كانوا يدعوننا - والعراقيين
منهم على وجه الخصوص ، اذ تتسكل بهم تلك « الشلة » التي
جلبها الاستاذ ب.س. حوله من اخوانا الشرقيين ، والمدمر عراقي
تحيط به حالة من تاريخ بلاده لما دوي عميق لم يزل عالماً بأذهان

« اخواننا المصريين » منه خيال لا حدود له ، ولا ريب ان أفردجا جديداً سيضم الى « الشلة » الشرقية في ليلة العيد السعيد ، ولا ريب ان هذا الانفوج الطريف يثير الفضول ، اذ ينبغي قبل كل شيء « التفرج » على لهجته العراقية ، وهل فيها شيء مما ترويه الاساطير عن ظرف بغداد ، او عن قرد اهل العراق ، وميلهم الموهود الى شق عصا الطاعة .. .

نقلت اليك هذه الفقرة من قصة لحسن بقدرة الدكتور الناهي على تصوير الأجواء النفسية ، وعرضها با يواكبها من شعور شخصي ، هو من « الاستغفاف » قريب ، عن الجذب بعيد ، فأنت الآن تعرف من وراء هذه الاسطر القليلة كيف ينظر المصري الى غيره من ابناء البلاد العربية ، وتدرك كيف يخطئ المصري بين عربي ، وشرقي ، ومسلم دون ان يميز بين هذه المخلوقات الانسانية الثلاثة ، ثم تحس بهذا الجو من المحاملة الذي يصطنعه المصري كلما احتك بعربي او شرقي او مسلم ، وما تنطوي عليه هذه المحاملة من افانين الافكار الكامنة ، والمخاطر الخفية . . . دون ان يقول الكاتب شيئاً منها .

وذاك هو شأنه في اكثر ما يعرض من حوادث ، ويصف من اجواء ، فانا اتصوره ، وهو يكتب انه يستمتع بقبضة طيافة دقيقة ، يعبر بها عما لا تؤديه الكلمات . اسمع حديثه مع رجل هندي في باريس « قلت لصديقي محمد يياد خان سناء الدين يياد الملك الهندي :

— حدثني عن ادب الهند ، يا يياد ، السمت وعدتني بهذا الحديث . — كيف ابدأ الحديث عن ادب الهند ، وهو كالحند عريض عميق ؟ وانت تريد ادباً كالجزر المنجوت فيه كل شيء الا الروح . — من قال لك هذا يا يياد ؟ ! تكلم كيف شئت : عن الجزر او عن الروح او عنها معاً ، ومن الخير ان تكلم عنها معاً ، فاني لاخشي ان تنكروا سوى الروح . ولا تنس اني لا اريد ادباً على نحو : أرض رياض انورد من غده وأسهر الليل أدامي النجوم

.. . اني لا اشتاق يا يياد ان اكون دابة في رياض خده ، ولو اقتبست من الاعشاب الزوان ومن الرياحين ما لا تنبت غابات الهند واغياها .. . ولا احب ان اكون متقلداً على الافلاك ، وانا لا اعرف من النجوم غير « الدب الاكبر » و« الدب الاقل » مني « الدب الاصغر » ، ولم اهدت الى وجه الصواب في التسمية ، واني لاخشي ان يغضب سكان تلك الاجرام من هذه التسميات الخفية ، ام هل تظن انهم لا يابيهون لمخاطبات هذا الحرم المتبدن ؟ !

ليس من عادتي ان استشهد عندما اعطي رأيي بكتاب ، ولكنني اشعر انني انزاء حالة غير عادية من تألثي الشخصية بأفاهيم الدكتور الناهي ، وهذا يستلزم ان اذكر للقاري بعض الفتريات التي قد تدبر تأثري ، بما تجبته في القاري . نفسه . واذا كانت مهمة الفن ان يبرز ويوحى وينير العقل والقلب والروح ، فلا ادري كيف تنسك بعد ذلك بالمقاييس الفنية ، والقواعد العلمية ، في نقد قصاص او شاعر ؟ ؟

ثم اذا كانت القصة تقاس بما تريد في ثروة القاري . من عواطف وافكار وخواطر ، لا بما هي عليه من جودة السبك ، واحكام القعدة ، والوصول الى الحلقة ، وحسن انتقاء التفاصيل — اذا كان ثمة شيء . مما اقول — فان الدكتور الناهي قد ساء الى ناقدية وقصصه حين قال عنها وعنهم في مقدمته :

« عسى ان تلاقي منهم ما هي جديرة به من التقليب والعوس والازورار » !

لما انا قد فرحت بها ، وسررت لاجوائها ، وما قطبت في وجعها قط . عسى ان الاتي من يقطب في وجعها ووجعها معاً .

عبر الـ طيف سُرارة

(الاديب) كعادتها فيما نشرته من رأي الكاتب

Elegance
ET
PRECISION
C'EST LA
MONTRE

رودانا
ساعة العصر الجديدة
زات ١٧ مجراً
مكفولة ٢٥ سنة

RODANA

الوكلاء في لبنان وسوريا محلات فواحياش بيروت - تليفون ٨٨/٨٣

